الإمام
ابن حزم الأندلسي
والتعريف بكتابه المحلى

محمد علي عباد حميسان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

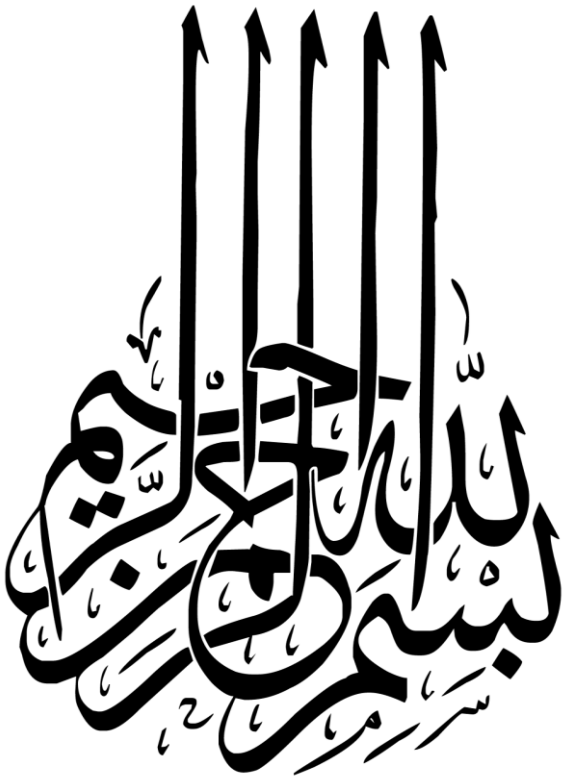
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وآله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فمن حق الأعلام العظام علينا أن نُعَرِّف بهم وبجهودهم التي بذلوها في سبيل العلم والتعليم؛ لما في ذلك من الوفاء لهم، والترحم عليهم، وأخذ العظة والعبرة من سيرهم، وشخصيتنا في هذا البحث العلامة الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري –رحمه الله تعالى–، الذي كان من أوسع العلماء اطلاعاً، وأغزرهم تأليفاً وإنتاجاً، فشهد له كبارهم بالموسوعية والتفنن والحفظ والقوة في النقد، وإنما نَفَّرَهَم عنه –سامحه الله تعالى– ظاهريته اليابسة، وأسلوبه القاسي في الرد على المخالف، والذي لولاهما لكان محل تقدير وإجماع بين العلماء، ولكن هذا لم يمنع البعض من الاستفادة مما في كتبه من كنوز ونفائس، وترك ما فيها من حصى وخزف، فالحكمة ضالة المؤمن كما قيل.

وسيكون البحث وفق المنهجية التالية:

المقدمة

الفصل الأول: ترجمة الإمام ابن حزم، وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: حياته.

المبحث الثاني: شيوخ الإمام ابن حزم.

المبحث الثالث: أشهر تلامذته.

المبحث الرابع: المناصب التي تولاها.

المبحث الخامس: النكبات والمحن التي واجهته.

المبحث السادس: رحلاته.

المبحث السابع: مكانته العلمية، وأقوال العلماء فيه.

المبحث الثامن: مصنفاته وآثاره.

المبحث التاسع: وفاته.

الفصل الثاني: عصر الإمام ابن حزم، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاقتصادية.

المبحث الثالث: الحالة الاجتماعية.

المبحث الرابع: الحالة العلمية.

الفصل الثالث: دراسة موجزة عن كتاب المحلّى، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بكتاب "المحلى".

المبحث الثاني: أهمية كتاب المحلى وقيمته العلمية.

المبحث الثالث: منهج ابن حزم في المحلى.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

ترجمة الإمام ابن حزم

وهذا الفصل يحتوي على تسعة مباحث:

المبحث الأول: حياته.

المبحث الثاني: شيوخه وأساتذته.

المبحث الثالث: أشهر تلامذته.

المبحث الرابع: المناصب التي تولاها.

المبحث الخامس: النكبات والمحن التي واجهته.

المبحث السادس: رحلاته.

المبحث السابع: مكانته العلمية، وأقوال العلماء فيه.

المبحث الثامن: أهم آثاره ومصنفاته.

المبحث التاسع: وفاته.

المبحث الأول:

حياته

ويشتمل على المطالب التالية:

1 – اسمه ونسبه.

2 – أسرته.

3 – مولده.

4 – نشأته وطلبه للعلم.

5 – صفاته.

1 – اسمه ونسبه:

من المتفق عليه عند المؤرخين أن اسمه: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ويُكنّى بأبي محمد، ويُشتَهر بابن حزم، وهو من بيت عز وشرف ومجد. [1]

واختلفوا في الأصل البعيد لهذا البيت على ثلاثة أقوال:

القول الأول: يرى أصحاب هذا القول أن ابن حزم فارسي الأصل، أموي الولاء، وأن جده الأعلى واسمه يزيد كان مولى للأمير يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي،[2] نائب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– على

(1) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: 308–311، وسير أعلام النبلاء: 18/184–212، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين: 43–46، و البداية والنهاية: 15/795–796، ومعجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: 4/1650–1659.

(2) يَزِيد بن أبي سُفْيَان (000 – 18 هـ = 000 – 639 م) يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب، الأموي، أبو خالد: أمير، صحابي، من رجالات بني أمية شجاعة وحزما. أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي صلّى الله عليه وسلّم على صدقات بني فراس، وكانوا أخواله. ثم استعمله أبو بكر على جيش، وسيره إلى الشام، وخرج معه يشيعه راجلا. ولما استخلف عمر، ولاه فلسطين. ثم ولي دمشق وخراجها. وافتتح قيسارية. وهو أخو معاوية الخليفة. له=

دمشــق، وأن جدّه خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس في صــحابة أمير الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام؛ المعروف بالداخل.[1]

وســاق هؤلاء نســب ابن حزم هكذا: "أبو محمد علي بن أحمد بن ســعيد بن حزم بن غالب بن صــالح بن خلف بن معدان بن ســفيان بن يزيد الفارســي، مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي".[2]

وأن جده خلف ســكن قرية "منت ليشــم" من إقليم الزاوية من عمل "أونبه" على بعد نصف فرسخ منها وهي من كورة "لبلة" من غرب الأندلس.[3]

القول الثاني: يرى القائلون به أن ابن حزم من أصــل إســباني، خرج من أســرة من أسبانيا الغربية كانت تدين بالنصرانية، ولبثت على ذلك بعد الفتح الإسلامي، حتى اعتنق "حزم" الإسلام في منتصف القرن الثالث الهجري تقريباً.

وقد اعتمد القائلون بهذا القول على نص وحيد لمؤرخ معاصــر لابن حزم وهو أبو مروان ابن حيان[4] حيث قال عن ابن حزم: "وقد كان في غرائبه انتماؤه في فارس، واتباع

=وقائع كثيرة وأثر محمود في فتوح البلاد الشامية. توفي في دمشق بالطاعون، وهو على الولاية. [الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 1575/4، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: 456/5، والإصابة في تمييز الصحابة: 516/6.

(1) عَبْد الرحمن الداخل. (113 – 172 هـ = 731 – 788 م) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الملقب بصقر قريش، ويعرف بالداخل، الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، وأحد عظماء العالم. ولد في دمشق، ونشأ يتيماً فتربى في بيت الخلافة. ولما انقرض ملك الأمويين في الشام، وتعقب العباسيون رجالهم بالفتك والأسر، أفلت عبد الرحمن منهم رغم كثرة مطاردته ومحاولة الفتك به حتى بلغ الأندلس، سنة 138 هـ وانتقل إلى إشــبيلية، ومنها إلى قرطبة، فقاتله والي الأندلس يوســف الفهري، فظفر عبد الرحمن الأموي، ودخل قرطبة واستقر. وكان حازماً، سريع النهضــة في طلب الخارجين عليه، لا يخلد إلى راحة، ولا يكل الأمور إلى غيره، ولا ينفرد برأيه، شجاعاً، مقداماً، شديد الحذر، سخياً، لسناً، شاعراً، عالماً، يقاس بالمنصور في حزمه وشدته وضبطه الملك. وبنى الرصافة بقرطبة تشبهاً بجده هشام باني رصافة الشام. وتوفي بقرطبة ودفن في قصرها. [الأعلام للزركلي: 338/3، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: 47/2، والكامل في التاريخ: 277/5، والإحاطة في أخبار غرناطة: 356/3.

(2) جذوة المقتبس: 308–311. والصــلة في تاريخ أئمة الأندلس: 395، وسير أعلام النبلاء: 184/18، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب: 43. والبداية والنهاية: 795/15، ومعجم الأدباء: 1650/4.

(3) انظر المصادر السابقة.

(4) ابن حَيَّان (377 – 469 هـ = 987 – 1076 م) حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أبو مروان: مؤرخ، بحاث، من أهل قرطبة. كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس، أفصح الناس بالتكلم فيه، وأحسنهم تنسيقا

أهل بيته له في ذلك بعد حقبة من الدهر تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه، الراجح في ميزانه، أحمد بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياء نعمته، لا عن صحة ولاية لهم عليه، فقد عهده الناس خامل الأبوة، مولد الأرومة من عجم لبلة، جده الأدنى حديث عهد بالإسلام، لم يتقدم لسلفه نباهة، فأبوه أحمد على الحقيقة هو الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر برأس رابيةٍ، وعمده بالخلال الفاضلة من الرجاحة والمعرفة والدهاء والرجولة والرأي، فاغتدى جرثومة شرف لمن نماهم، أغنتهم عن الرسوخ في أولي السابقة، فما من شرف إلا مسبوق عن خارجية، ولم يكن إلا كلا ولا، حتى تخطى علي هذا رابية لبلة، فارتقى قلعة إصطخر من أرض فارس، فالله أعلم كيف ترقاها، إذ لم يكن يؤتى من خطلٍ ولا جهالة، بل وصلة بها وسع علمٍ ووشيجة رحمٍ معقومة بلها بمستأخر الصلة، رحمه الله..."[1]

وعلى هذا النص الذي لم يرد له في المصادر القديمة مؤيد اعتمد جميع الذين رأوا هذا النسب لابن حزم من المتأخرين، من أمثال دوزي، ونيكلسون، وجولد تسهير، ود. أحمد هيكل، ود. طه الحاجري، ويعقوب زكي،[2] والمؤرخ الأسباني سانتشث البرنس.[3]

ويحتج أصحاب هذا الرأي لرأيهم بأن نسبة ابن حزم في موالي بني أمية كانت خجلاً من أصله المسيحي القريب، وأنها كانت انتحالاً يراد به التقرب إلى العرب الفاتحين.[4]

له. من كتبه (المقتبس في تاريخ الأندلس – خ) مجلدان منه، ويقع في عشر مجلدات، طبع جزء منه في سيرة الأمير عبد الله بن محمد الأُموي بقرطبة وأحداث عصره. وله (المبين) في تاريخ الأندلس أيضا، أكبر من المقتبس، وكتاب في (تراجم الصحابة) وجد منه الجزء الثالث. [الأعلام للزركلي: 289/2، ويُنظر في: الصلة: 150، ووفيات الأعيان: 218/2، وسير أعلام النبلاء: 289/2.

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: 170/1، ومعجم الأدباء: 1656/4. والإحاطة في أخبار غرناطة: 87/4.

(2) مقدمة كتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس: 60/1، وابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 46–47. نقلاً عن: د. إحسان عباس: عصر السيادة في قرطبة: 303؛ ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف؛ وعبد الكريم خليفة: ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه؛ ود. أحمد هيكل: تاريخ الأدب الأندلسي: 392–393؛ ود. الحاجري: ابن حزم صورة أندلسية: ص 14 وما بعدها؛ ويعقوب زكي في ديوان ابن الشهيد ص 12.

(3) ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد: ص 19، نقلاً عن: ابن حزم قمة إسبانية للمؤرخ الأسباني سانتشث البرنس ترجمة الدكتور: الطاهر مكى ضمن كتابه دراسات عن ابن حزم وطوق الحمامة ص 143.

(4) ابن حزم الأندلسي لعبد الحلين عويس: 47.

القول الثالث: وقد انفرد به المستشرق الإيطالي جبريلي، حيث يرى أن ابن حزم يوناني الأصل.[1]

والذي يترجح من هذه الأقوال هو القول الأول بناء على الأدلة التاريخية والعقلية والتي أهمها ما يلي:[2]

1 – ورد التصريح من قبل ابن حزم بنسبته الفارسية وولائه في قريش، وهو أوثق المصادر في هذا الإثبات حيث يقول:

سَمَا بي ساسان دارا وبعدهم قريش العِلا أعياصها والعَنابس

فما أخرت حربٌ مراتب سؤددي ولا قعدت بي عن ذوي المجد فارسُ

هنالِك مجد الدهر طالت فُرُوعه فَهُنَّ مَواض صُعَّدٌ لا نَواكس

مَلَكْنَا ملوك الأرض في كل جانب فحدُّ مناوينا الحدودُ الأواكس[3]

2 – ليس أحد يستطيع اتهام ابن حزم بالكذب في هذه الدعوى: لأنه علَّامة نَسَّابة وقد أَلَّف في علم النسب كتابه المشهور: "جمهرة أنساب العرب".

3 – لم تكن بابن حزم حاجةٌ للكذب في نسبه: "فنسبته في فارس، لا تزيده شرفاً على نسبته في الإسبان، وحداثة إسلام أسرته، أو قدمها ليست شيئا يرجح مكانته في شيء.

4 – لا يُسَلَّمُ قول ابن حيان في نسب ابن حزم، لأنه لم يكن يخلو من عداء لابن حزم، وإن حاول التظاهر بالإنصاف. وقد كان الأولى به أن يصدق ابن حزم في أمر هو

---

(1) مقدمة كتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس: 61/1؛ نقلاً عن: Gabriell: Storia Dalla Pitter arab Hilans 1962. 1957. بواسطة: "ابن حزم علم من أعلام الفكر الإسلامي بالأندلس" مقال في "الدراسات الإسلامية" (ص 328).

(2) انظر: ابن حزم لأبي زهرة: 20–21. وابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 47. ومقدمة كتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس: 61/1. وكتاب ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد: ص 17.

(3) ديوان ابن حزم الظاهري: 68؛ جمع وتحقيق ودراسة: أحمد رشاد عبد الكريم، وانظر: ديوان ابن حزم الذي نشره د. إحسان عباس في: تاريخ الأدب الأندلسي. عصر سيادة قرطبة (ص 331).

وثيق به. ثم أين المصدر الذي استقى منه ابن حيان؟! وخبر الأنساب يؤخذ بالنقل من المنتسبين أنفسهم، وممن لهم مساس بهم وخلوص إليهم؟ والمعروف عند تلاميذ ابن حزم ومعاصريه فارسيته، وكما هو يثبت ذلك ويفتخر به.

5 – لو أن أبا محمد انتمى لفارس على غير حقيقة – كما يقول ابن حيان – لكان أول من يكذبه ابن عمه أبو المغيرة عبد الوهاب الوزير، لما كان بينهما من المنافسة والمخالفة وقد عاب الأخير بعض مؤلفات الأول.[1]

ولا يتصور أن يقر ابن عمه عبد الوهاب بهذا الانتماء – الذي يلحق بنسبه – لو لم يكن صحيحًا ولو سلمنا اتباع ابن عمه، وأهل بيته له. – كما يراه ابن حيان من غرائبه – فلا يتصور سكوت أعداء ابن حزم وقد عابوه بالحق وبالباطل، بل سيستغلون هذه الدعوى الكاذبة لهدم كل آراء ابن حزم التي حاربوها بكل الطرق، ولا سيما وهو من مدرسة الحديث التي تعتمد منهج الجرح والتعديل، وتغلب الجرح، فقد رموه بطول اللسان وحدّة القول ولم يرموه بالكذب.

6 – قول ابن حيان: "فقد عهده الناس خامل الأبوة مولد الأرومة" فهذا يخالفه كلام الفتح ابن خاقان بقوله "وبنو حزم فتية علم وأدب، وثنية مجد وحسب"[2]، فلهم مجد وحسب ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا كانت لهم عراقة وشهرة.

7 – تسليم جمع من المؤرخين الثقات بصحّة ما ادعاه ابن حزم في نسبه وتابعوه على ذلك، وهذه نصوص أقوال بعض من ترجموا له:

يقول الحميدي: "علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، أبو محمد. أصله من الفرس وجده الأقصى في الإسلام اسمه "يزيد" مولى ليزيد بن أبي سفيان".[3]

---

(1) انظر لسان الميزان: 488/5.

(2) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس: ص 22.

(3) جذوة المقتبس: 308.

ويقول ابن بشكوال:[1] "علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي".[2]

ويقول ياقوت:[3] " علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، القرشي الأندلسي ".[4]

ويقول ابن خلكان:[5] "أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن معدان بن سفيان بن يزيد، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي، وجده يزيد أول من أسلم من أجداده، وأصله من فارس، وجده خلف أول من دخل الأندلس من آبائه. ".[6]

---

(1) ابن بَشْكُوَال (494 – 578 هـ = 1101 – 1183 م) خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجيّ الأنصاري الأندلسي، أبو القاسم: مؤرخ بحاثة، من أهل قرطبة، ولادة ووفاة. ولي القضاء في بعض جهات إشبيلية. له نحو خمسين مؤلفا، أشهرها (الصلة – ط) في تاريخ رجال الأندلس، جعله ذيلا لتاريخ ابن الفرضيّ. [الأعلام: 311/2، وانظر معجم المؤلفين: 105/4].

(2) الصلة: 395.

(3) ياقوت الحَمَوي (574 – 626 هـ = 1178 – 1229 م) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب. أصله من الروم. أسر من بلاده صغيرا، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه وشغله بالأسفار في متاجره، ثم أعتقه (سنة 596 هـ. رحل رحلة واسعة انتهى بها إلى مرو (بخراسان) وأقام يتجر، ثم انتقل إلى خوارزم. وبينما هو فيها خرج التتر (سنة 616) فانهزم بنفسه، تاركا ما يملك، ونزل بالموصل وقد أعوزه القوت، ثم رحل إلى حلب وأقام في خان بظاهرها إلى أن توفي. أما نسبته فأرجح أنها انتقلت إليه من مولاه عسكر الحموي. من كتبه " معجم البلدان" و "إرشاد الأريب" ويعرف بمعجم الأدباء. [الأعلام: 131/8. وانظر معجم المؤلفين: 178/13].

(4) معجم الأدباء: 1650/4.

(5) أحمد بن خلّكان (608 – 681 هـ) (1211 – 1282 م) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي، الإربلي، الشافعي (شمس الدين ابو العباس) فقيه، مؤرخ، اديب، شاعر، مشارك في غيرها من العلوم. ولد باربل في 11 ربيع الآخر، وتفقه على والده بمدرسة اربل، ثم انتقل الى الموصل، ثم الى حلب ثم قدم دمشق، ثم الى القاهرة، وتولى قضاء دمشق، وتوفي بها في رجب، ودفن بسفح قاسيون. من تصانيفه: وفيات الاعيان في أنباء ابناء الزمان. [معجم المؤلفين: 59/2، وانظر الأعلام: 220/1].

(6) وفيات الأعيان: 325/3.

ويقول الذهبي:[1] " أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، الفارسي الأصل الأموي اليزيدي القرطبي الظاهري صاحب التصانيف: كان جدهم خلف أول من دخل إلى الأندلس".[2]

ويقول اليافعي:[3] " أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأموي مولاهم، الفارسي الأصل، الاندلسي القرطبي ".[4]

ويقول ابن كثير:[5] "أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي،

---

(1) الذَّهَبي (673 - 748 هـ = 1274 - 1348 م)، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الشافعي، شمس الدين، أبو عبد الله: حافظ، مؤرخ، علامة محقق. تركمانيّ الأصل، من أهل ميافارقين، صاحب المؤلفات الحافلة في: القراءآت والحديث وعلومه والرجال والتاريخ والتخاريج. مولده ووفاته في دمشق. رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، وكف بصره سنة 741 هـ تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها: تاريخ الاسلام الكبير، سير أعلام النبلاء، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، طبقات الحفاظ، تجريد الاصول في أحاديث الرسول، والمشتبه في أسماء الرجال. تنظر ترجمته في: [فوات الوفيات: 315/3، وأعيان العصر وأعوان النصر: 288/4، والوافي بالوفيات: 114/2، وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: 417/1، وطبقات الشافعية الكبرى: 100/9، وطبقات الحفاظ:522، والأعلام: 326/5].

(2) تذكرة الحفاظ: 227/3، وانظر: تاريخ الإسلام: 74/10، وسير أعلام النبلاء: 184/18.

(3) اليافِعي (698 - 768 هـ = 1298 - 1367 م) عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين: مؤرخ، باحث، متصوف، من شافعية اليمن. نسبته إلى يافع من حمير. ومولده ومنشأه في عدن. حج سنة 712 هـ وعاد إلى اليمن. ثم رجع إلى مكة سنة 718 فأقام، وتوفي بها. من كتبه " مرآة الجنان، وعبرة اليقظان، في معرفة حوادث الزمان" وغيرها [الأعلام: 72/4. وانظر معجم المؤلفين: 34/6].

(4) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: 61/3.

(5) اسماعيل بن كثير (700 (2) - 774 هـ) (1301 - 1373 م) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ابن زرع البصروي، ثم الدمشقي، الشافعي المعروف بابن كثير (عماد الدين، أبو الفداء) محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه. ولد بجندل من اعمال بصرى، ثم انتقل الى دمشق، ونشأ بها، وتوفي بها في شعبان، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية. من تصانيفه: تفسير القرآن العظيم، ومختصر علوم الحديث لابن الصلاح، والبداية والنهاية في التاريخ، والفصول في سيرة الرسول، وجامع المسانيد جمع فيه أحاديث الكتب الستة والمسانيد الأربعة. [معجم المؤلفين: 284/2. وانظر الأعلام للزركلي: 320/1].

أصـــل جده يزيد هذا فارســـي، أســـلم وخلف المذكور، أول من دخل منهم بلاد المغرب، وكانت بلدهم قرطبة ".[1]

ويقول ابن حجر:[2] "علي بن أحمد بن ســعيد بن حزم بن غالب بن صـــالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي أبو محمد القرطبي ثم اللبلي".[3]

وكذلك ذكر نســـبته الفارســـية كل من الأتابكي في كتابه النجوم الزاهرة.[4] والمقري التلمساني في كتابه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.[5]

فجميع هؤلاء المؤرخين الثقات قد أكدوا نســب ابن حزم الفارســي، وقدم إســلام هذه الأسـرة مع أن أغلب هؤلاء إن لم نقل جميعهم قد اطلعوا على رواية ابن حيان ولم يعيروها اهتمامهم، وقد ســاقها ياقوت في كتابه معجم الأدباء بعد أن ذكر أولاً النســب الفارســي، وليس هناك ما يدعو هؤلاء المؤرخين جميعهم إلى التحيز للنســب الفارســي ضــد النســب الإسباني وقد ساوى الإسلام بين الأمم جميعاً.

ولو كان شـيءٌ يشـوب هذا النسـب، لبادر الواحدُ من هؤلاء إلى الاعتراض، وفيهم مَنْ كان يصنع ذلك في أهون من هذا.[6]

8 – هناك من أصــحاب هذه المصــادر التي لا تقل معاصــرة عن ابن حيان كالحميدي وصـاعد، وأولهما اشـتهر بالتقوى والورع، وثانيهما كان تلميذاً لابن حزم إلا أن ذلك لم

---

(1) البداية والنهاية: 795/15.

(2) أحمد بن حجر (773 – 852 هـــ) (1372 – 1449 م) أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني، العسـقلاني، المصـري المولد، والمنشـأ والدار، والوفاة، الشـافعي، ويعرف بابن حجر (شـهاب الدين، ابو الفضـــل) محدث، مؤرخ، أديب، شـــاعر. ولد في 12 شـــعبان، وتوفي في 18 ذي الحجة. زادت تصـــانيفه التي معظمها في الحديث، والتاريخ، والادب، والفقه، والأصـلين، على مائة وخمسـين مصـنفاً، منها: فتح الباري بشـرح صـحيح البخاري، والإصـابة في تمييز الصـحابة، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وشرح على الإرشـاد في فروع الفقه الشافعي، وديوان شعر. [معجم المؤلفين: 20/2. وانظر الأعلام للزركلي: 178/1].

(3) لسان الميزان لابن حجر: 488/5.

(4) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي: 75/5.

(5) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: 78/2.

(6) انظر مثلا: رد ابن حجر لأوهام ابن حزم في الرجال في لسان الميزان لابن حجر: 488/5.

يمنعه من نقده نقداً مرّاً في دراســـته للمنطق –كيف يمكن القول إنهما جاريا ابن حزم في دعوى يعرفان كذبها... أو يقال بجهلهما وعلم ابن حيان وحده، كيف وقد وافقهما الكثير من المؤرخين كما مر آنفاً.

9 – كان والد ابن حزم أحمد بن ســعيد وزيراً للمنصــور بن أبي عامر وابنه المظفر، ولم يكن يزيده حظوة لدى العامريين أن يكون من موالي بني أمية، بل إن العكس قد يكون أقرب إلى التصــور. وعلى امتداد النصــف الأول من القرن الخامس الهجري لم يكن الولاء لبني أمية مجلبة للنفع، بل كان مجلبة للضر.

10 – لا تقوم حجة صحيحة، أو دليل معتبر، على سلامة دعوى مَن ادعى أن ابن حزم إسباني الأصل، ولو قال قائل إن محاولة نسبته إلى إسبانيا المسيحية التي روج لها المســتشــرقون بخاصــة اعتماداً على نص ابن حيان، ليســت إلا محاولة مســيحية عنصــرية للفوز بعالم كبير كانت له الريادة في فتح أكثر من مجال من مجالات الإبداع الفكري. ومثل ذلك يقال لمن زعم أن نسبته يونانية.

2 – أسرته:

ينحدر ابن حزم من أسـرة كريمة المحتد، شـريفة الأرومة، نبيلة الأصـل، عُرف فيها العلم والفضــل، وعُلمت فيها الرياســة والريادة، وفي ذلك يقول الفتح بن خاقان: "بنو حزم فتية علم وأدب، وثنية مجد وحســب، ولي الوزارة منهم غيرُ واحد، ونالوا بقرطبة جاهًا عريضًا ... "[1]

وأصــل آبائه من قرية منت ليشــم من إقليم الزاوية من عمل أونبة من كورة لبلة من غرب الأنـدلس،[2] وتُعرف لبلـة –أحيـانـاً– بلبلـة الحمراء، وهي على نهر يُعرف بنهر "لهشر".[3] ثم انتقل آباؤه منها إلى قرطبة مع اتصالهم بموطنهم الأصلي في لبلة.

(1) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس: ص 202.

(2) معجم الأدباء: 1650/4. والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ص 200.

(3) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 51.

وكان والد ابن حزم "أبو عمر أحمد بن سعيد" أول من ظهر على مسرح التاريخ من هذه الأسرة في الأندلس.[1]

ومن ثنايا ابن حزم عن والده، ومما أورده المؤرخون عن طريقة إدارته للأمور وأسلوبه السياسي أيام وزارته لابن أبي عامر، واعتزازه بنفسه، وعلمه وأدبه وبلاغته، ونستطيع أن نضع والده ابن حزم في مكانة رفيعة تؤهله لكي يبني لهذه الأسرة مجداً يعجب له ابن حيان.[2]

ويذكر المؤرخون أنه كان من أهل العلم والأدب والخير، وله في البلاغة يد قوية، ومن كلامه الذي لا يقوله إلا المتبحر الواسع العلم قوله: "إني لأعجب ممن يلحن في مخاطبة، أو يجيء بلفظة قلقة في مكاتبة، لأنه ينبغي له إذا شك في شيء أن يتركه ويطلب غيره، فالكلام أوسع من هذا".[3]

قال ابنه أبو محمد: أنشدني الوزير أبي في بعض وصاياه لي:

إذا شئت أن تحيا غنيّاً فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها[4]

قال المقري بعد أن ساق هذا الخبر: "وهذا كافٍ في فضل الفرع والأصل، سامح الله الجميع".[5]

كما أورد المؤرخون بعض أخباره مع المنصور بن أبي عامر،[6] وكلها تدل على عظيم فضله وخلقه، واحترامه لنفسه بدرجة أزعجت المنصور وشكا منها.[7]

---

(1) المصدر السابق ص 48.

(2) المصدر السابق ص 48.

(3) جذوة المقتبس: 126. وبغية الملتمس: 182.

(4) رسائل ابن حزم الأندلسي: 17/2، والصلة: 31. والجذوة: 126. والبغية: 182. ونفح الطيب: 83/2.

(5) نفح الطيب: 83/2.

(6) الجذوة: 126. والبغية: 182. وتاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة): 247-248.

(7) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 49.

وقد عاش إلى نهاية الدولة العامرية وبداية الفتنة، ومات بعد عصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنين وأربعمائة.[1]

وكان لابن حزم أخ يُدعى أبو بكر مات شابّاً، وكان متزوجاً بعاتكة بنت قند، صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور أبي عامر محمد ابن عامر،[2] وتوفي في الطاعون الواقع بقرطبة في شهر ذي القعدة سنة إحدى وأربعمائة، وهو ابن اثنين وعشرين سنة.[3]

ويبدو أنه لم يكن له غيره لأنه ألف كتاباً مفقوداً عنوانه: "تواريخ أعمامه وأبيه وأخيه" فقد نص على أخيه بالإفراد وليس بالجمع.(4)

أبنائه:

وكان لابن حزم أبناء فمنهم: الفضل بن علي أبو رافع، روى عن أبيه وغيره، وكتب بخطه كثيراً، قال ابن بشكوال: "وكان عنده أدب ونباهة ويقظة وذكاء".(5) وقد توفي في معركة الزلاقة سنة 479 هـ.

وأبو أسامة يعقوب بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، روى عن أبيه، وعن أبي عمر بن عبد البر إجازة، وعن أبي العباس العذري. وحج وأدى الفريضة. وكان من أهل

---

(1) طوق الحمامة لابن حزم: 251، ووفيات الأعيان: 328/3. والصلة لابن بشكوال: 31.

(2) المنصور أبو عامر (326 – 392 هـ = 938 – 1002 م) محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عامر بن أبي عامر: المعافريّ الحميريّ الأندلسيّ الحاجب. كان أمير الأندلس في دولة هشام المؤيّد، وأصله من الجزيرة الخضراء، ورد شابّا إلى قرطبة، فطلب العلم والأدب، وسمع الحديث، وكان قويّ النّفس وساعدته المقادير، وصار صاحب التدبير وتلقّب بالمنصور وأقام الهيبة فدانت له أقطار الأندلس كلّها، ولم يضطرب عليه شيء منها، وحجب هشاماً المؤيّد، وكان ذا همّة وفيّة في الجهاد وغزا نيفا وخمسين غزوة وفتح فتوحات كثيرة. توفي في طريق الغزو في أقصى الثغور بمدينة سالم، وكانت مدّته في الامارة بضعاً وعشرين سنة، وقد صنّف العلماء كتبا في أخباره ومغازيه، ولهم فيه مدائح كثيرة. [مجمع الآداب في معجم الألقاب: 545/6].

(3) طوق الحمامة: 259.

(4) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 50.

(5) الصلة: 440.

النباهة والاستقامة. توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمس مائة. ومولده سنة أربعين وأربع مائة.[1]

وأبو سليمان المصعب بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، سمع من وَالِده وَمن أبي مَرْوَان الطبني فِي شهر ربيع الآخر سنة 457هـ. وَأبي الْحسن بن سيدة اللّغَوِيّ حدث عَنهُ بمختصر الْعين للزبيدي، وَكَانَ على سنَن سلفه من طلب الْعلم وَحمله.[2]

ومن بني عمومة الإمام ابن حزم ممن لهم ذكر وفضـــل: أحمد بن عبد الرحمن بن ســـعيد بن حزم بن غالب الأندلســـي، كان من أهل العلم والفضـــل، يتولى الحكم الجانب الغربي من قرطبة للمهدي محمد بن هشـــام بن عبد الجبار بن الناصـــر الأموي، ذكره أبو محمد بن حزم، وابنه الوزير أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن ســـعيد بن حزم الأندلسي، وزر لبعض أمراء الأندلس، وهو شاعر مكثر مجيد.[3]

3 – مولده:

ولد أبو محمد ابن حزم بقُرْطُبَة في سنة أربع وثمانين وثلاث مائة، 384هـ.[4]

قال القاضـــي صـــاعد بن أحمد[5]: كتب إليَّ ابن حزم بخطه يقول: ولدت بقرطبة في الجانب الشـرقي من ربض منية المغيرة، قبل طلوع الشـمس، وبعد سـلام الإمام من صـلاة الصـبح، آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شـهر رمضـان المعظم سـنة أربع وثمانين وثلاث مائة للهجرة.[6]

4 – نشأته وطلبه للعلم:

---

(1) الصلة: 651.

(2) التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار: 187/2.

(3) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأســـماء والكنى والأنســـاب: 451/2، ويُنظر في طوق الحمامة لابن حزم: 224، و226 ففيهما ذكر لابن عمه.

(4) الوافي بالوفيات: 93/20–98، و بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: 415–418، وسـير أعلام النبلاء: 184/18–212، والبداية والنهاية: 795/15–796.

(5) ستأتي ترجمته عند ذكر تلامذة ابن حزم.

(6) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: 395–396.

نشأ ابن حزم في بيت عز مكين، وجاه عريض، في تنعم ورفاهية، في قصر أبيه في قصر أبيه الوزير المُقَام في الشارع الآخذ من النهر الصغير على الدرب المتصل بقصر الزاهرة.[1]

وقد رُزِق ذكاءً مفرطاً، وذهناً سيالاً، وكتباً نفيسةً كثيرة، وكان والده -كما ذُكر آنفاً- من كبراء أهل قرطبة؛ عمل الوزارة في الدولة العامرية، وكذلك وزر أبو محمد في شبيبته، وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم من ذلك.[2]

وكان يعتز بأنه طلب العلم لا يبغي بذلك مالاً ولا جاهاً، وإنما طلبه ابتغاء علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة، ويروى أنه تناظر مع الإمام الباجي[3] -رحمه الله تعالى-، فقال الباجي: أنا أعظم منك همّة في طلب العلم، لأنّك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق، فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، لأنّك إنّما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرج به إلاّ علوّ القدر العلمي في الدنيا والآخرة؛ فأفحمه.[4]

ويذكر ابن حزم أن نشأته الأولى وتَعَلُّمه القرآن الكريم والأشعار والخط كان على يد النساء من جوارٍ وقريبات، فقال في كتابه "طوق الحمامة": ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم

---

(1) انظر وصف ابن حزم لقصر أبيه في طوق الحمامة: ص 199، وص 250.

(2) سير أعلام النبلاء: 186/18.

(3) أبو الوليد الباجي (403 - 474 هـ = 1012 - 1081 م) سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي: فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث. أصله من بطليوس ومولده في باجة بالأندلس. رحل إلى الحجاز سنة 426 هـ فمكث ثلاثة أعوام. وأقام ببغداد ثلاثة أعوام، وبالموصل عاما، وفي دمشق وحلب مدة. وعاد إلى الأندلس، فولي القضاء في بعض أنحائها، وله العديد من المؤلفات. وتوفي بالمرية [الأعلام: 125/3. ومن مصادر ترجمته: الصلة: 197. وسير أعلام النبلاء: 535/18. وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 178/1].

(4) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: 77/2.

أعرف غيرهن، ولا جالســـت الرجال إلا وأنا في حد الشـــباب وحين تبقل[1] وجهي؛ وهن علمنني القرآن ورويننني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط...[2]

ويعلم من هذا النص أسماء المواد التي تلقاها ابن حزم في مُقتبل العُمر، وهي: حفظ القرآن الكريم، ورواية الأشعار، والتمرين في الخط، وهو يقتضي تعليماً سابقاً تناول تهجِّي الحروف، وتلقين الكتابة للمرة الأولى. فمن هو معلم أو معلمة ابن حزم في هذه المرحلة؟

من القريب جداً أن يكون هو أحمد بن محمد بن عبد الوارث القرطبي المتوفى ســـنة 402 هـــــ[3] وهو الذي يقول عنه الحميدي: "أخبرني أبو محمد علي بن أحمد أنه كان معلمه".[4]

والغالب أن المعلم نفســـه هو الذي تلقى عنه ابن حزم بقية المواد التعليمية الأولية: الترسل، ومبادئ العربية، ومن المعروف أن عادة الأندلسيين أن يخلطوا في تعليمهم للقرآن رواية الشعر في الغالب، والترسل، ويأخذون الناشئة بقوانين العربية وحفظها، وتجويد الخط والكتابة، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشـــبيبة، وقد شـــدا طرفاً في العربية والشعر، والبصر بهما، وبرز في الخط والكتابة، وتعلق بأذيال العلم على الجملة.[5]

وفي ترجمة معلمه المشـــار إليه ما يؤكد صـــلاحيته لتلقين هذه المواد، حيث كان معدوداً من رجال الأدب الذي يعنى به –آنذاك– النحو واللغة والشعر.[6]

وقد ظهر نضـج ابن حزم العقلي ونبوغه مبكراً، واسـتطاع تمييز الشـعر الحسـن من غيره، ففي سـن الثانية عشـرة من عمره، حضـر مجلس المظفر بن أبي عامر، فسـمع أبا العلا صاعد بن الحسن ينشد:

---

(1) بَقَلَ وجهُ الغلام يبقل بقولاً وأبقل: أي خرجت لحيته. انظر: المخصص لابن سيده: 341/4.

(2) طوق الحمامة في الألفة والألاف: ص 166.

(3) مقدمة كتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس: 70/1. وشـيوخ ابن حزم في مقروءاته ومروياته للمنوني: ص 243.

(4) جذوة المقتبس: 107.

(5) شيوخ ابن حزم في مقروءاته ومروياته لمحمد المنوني: ص 243 بتصرف.

(6) المصدر السابق: ص 244.

إليك حدوت ناجية الركاب محملة أماني كالهضاب

بين يدي المظفر في يوم عيد الفطر سنة ست وتسعين وثلاثمائة. قال أبو محمد: "وهو أول يوم وصلت فيه إلى حضرة المظفر ولما رآني أستحسِنُها وأُصْغِي إليها، كتبها لي بخطه وأنفذها إلي".(1)

وَأَثَّرَ تذوق الأدب في حِسّ الغلام، فصار له في قول الشعر ملكة قوية، وفي قرضه طبع مرهف، فاستطاع أن يقرض الشعر قبل أن يبلغ الحلم.(2)

واعتنى والده الوزير بتهذيب أخلاق ولده الناشئ فجعل له من يقوم على سياسته بالتأديب، وتربيته بالتقويم والتسديد، وفي هذا يقول ابن حزم:

" ... كان السبب فيما ذكرته، أني كنت وقت تَأَجُّجِ نار الصبا، وشِرة الحداثة، وتمكُّن غرارة الفتوة، محظرا علي بين رقباء ورقائب".(3)

وصحبت هذه التربية ابن حزم إلى ما بعد بلوغه وفي هذا يقول:

" ... فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت أبا علي الحسين بن علي الفاسي في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي شيخنا وأستاذي رضي الله عنه، وكان أبو علي المذكور عاقلاً عاملاً، ممن تقدم في الصلاح والنسك الصحيح وفي الزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة، وأحسبه كان حصوراً لأنه لم تكن له امرأة قط، وما رأيت مثله جملة علماً وعملاً وديناً وورعاً، فنفعني الله به كثيراً وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي ".(4)

---

(1) جذوة المقتبس: 241.

(2) انظر كتابه طوق الحمامة ص 113.

(3) طوق الحمامة: 273.

(4) المصدر السابق.

أما توجهه لتحصيل العلم الشرعي فالذي نجزم به أنه كان قبل سنة أربعمائة،[1] إذ سمع الحديث على أحمد بن الجسور،[2] قبل أن يبلغ السابعة عشرة "وإذا كان الحديث والفقه أخوين متلازمين، لا يمكن أن يطلب الحديث إلا مع الفقه، أو على الأقل المعارف الأولى في الفقه فلا بُدَّ إذن أن نَقُولَ إنَّ ابنَ حزم قد ابتدأ يَتَلَقَّى الفقهَ في سِنِّيهِ الأولى، وليس مِنَ المعقول أن يكون أَبُوه الذي عُني بتربيته تلك العناية، يهمله وَيتْرُكُه من غير أن يُعَلَّم المعارف الأولى في الفقه كالصلاة، فرائضها ونوافلها، هذا هو المعقول في ذاته، وهو الذي يتفق مع السياق التاريخي".[3]

قصة مشهورة في بداية طلبه للعلم

ذكر بعض المؤرخين عن عمر بن واجب قال: بينما نحن عند أبي ببلنسية، وهو يدرس المذهب، إذا بأبي محمد بن حزم يسمعنا ويتعجب، ثم سأل الحاضرين عن سؤال من الفقه جووب عليه، فاعترض فيه، فقال له بعض الحضار: هذا العلم ليس من منتحلاتك. فقام وقعد، ودخل منزله فعكف، ووكف منه وابل فما كف. وما كان بعد أشهر قريبة حتى قصدنا إلى ذلك الموضع، فناظر أحسن مناظرة قال فيها: أنا أتبع الحق، وأجتهد، ولا أتقيد بمذهب.[4]

وهناك قصة أخرى تذكر أنه طلب العلم متأخراً، وهي تُروى عن تلميذه أبي محمد عبد الله بن محمد –والد أبي بكر بن العَرَبي[5] حيث يقول: أخبرني أبو محمد بن حزم أنَّ سبب تعلُّمُه الفِقه أنَّهُ شهِد جنازة، فدخل المسجد، فجلس ولم يركع، فقال له رجل: قم صلِّ تحيَّة المسجد، وكان قد بلغ سِتًّا وعشرين سنة. قال: فقمت فركعت، فلمَّا رجعنا من الصَّلاة على الجنازة ودخلت المسجد بادرت بالركوع، فقيل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة –يعني: بعد العصر، فانصرفت وقد خُزيت. وقلت للأُستاذ الّذي ربَّاني: دُلَّني على دار

(1) جذوة المقتبس: 308. وبغية الملتمس: 415. والصلة: 395. وتاريخ الأدب الأندلس لإحسان عباس: 255.

(2) انظر على سبيل المثال رواية ابن حزم لحديث السبعة الذين يظلهم اللهُ في ظله يوم لا ظل إلا ظله –من طريق ابن الجسور– في طوق الحمامة ص 299، وحديث: " إياكم والظن فإنه أكذب الكذب"، ص 308.

(3) ابن حزم لأبي زهرة: ص 27.

(4) سير أعلام النبلاء: 191/18؛ وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي: 345/3.

(5) ستأتي ترجمته عند ذكر تلامذة ابن حزم.

الفقيه أبي عبد الله بن دحّون، فقصـــدته وأعلمته بما جرى عَلَيّ، فدلّني على "موطأ" مالك، فبدأتُ عليه قراءة من ثاني يوم، ثُمّ تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام، وبدأتُ المُناظرة.[1]

إلا أن بعض المحققين ذهب إلى أن ابن حزم طلب العلم قبل ذلك بكثير، وشكك في هذه القصة، فقال العلامة محمد أبو زهرة –رحمه الله تعالى– معلقاً على هذه القصة: "... وإن هذه السن لا تتفق مع السياق التاريخي، ووجه عدم اتفاقهما أنه ثبت أن ابن حزم تلقى عن أحمد بن الجســـور الحديث،[2] ومســـتحيل أن يعرف رواية الحديث ولا يعرف تحية المسجد، وأيضاً فإنه ثبت أن أبا الحسين الفارسي كان يذهب به إلى مجالس كبار العلماء، فمســـتحيل أن يكون مع تلك العناية يجهل تحية المســـجد، وإن طبيعة الحياة التي كان يحياها ابن حزم تكذب ذلك، فلقد كان ابن حزم ابن وزير كبير من كبراء الدولة، وقد بلغ سن الرجولة، فلا يمكن أن يكون جاهلاً تحية المسجد؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن نقول أنه لم يدخل المسجد قبل ذلك أو لم يدخله إلا نادراً؛ وذلك غير معقول بالنسبة لرجل ذي جاه بلغ السادسة والعشرين.

وإن الخبر في ذاته يحمل دليل على بطلان أن يكون ابن حزم في هذه الســـن، وذلك لأنه ذكر أن مربيه وأستاذه قد صحبه، وأشار عليه بذلك. ومن كان في السادسة والعشرين وبلغ مرتبة الوزارة لا يذكر الناس من يشير إليه أنه مربيه.

وإن المعقول أو القريب من المعقول أن يكون ذلك وهو في السادسة عشرة من عمره؛ وأن يكون في الكلام تصحيف من النساخ، وقد كتبوا بدل العشر عشرين...".[3]

وذهب العلامة محمد المنوني، مذهب أبي زهرة في رد هذه الرواية بحجج خمس:

---

(1) معجم الأدباء: 1652/4؛ وطبقات علماء الحديث: 345/3؛ وسير أعلام النبلاء: 199/18.

(2) وابن الجسور توفي سنة 401هـــ، أي أن سن ابن حزم حينها بين السادسة عشرة والسابعة عشرة، وهذا مما يطعن في صحة القصة.

(3) ابن حزم، حياته وعصره–آراؤه وفقهه: ص 28.

1 – أنَّ ابن حزم ابتدأ من عام 399هـــ في سماعِ الحديثِ على أستاذه ابن الجسور، وكان مولد ابن حزم عام 384هـ.

2 – كان يأخذُ عن ابن الفرضيّ قبلَ وفاتهِ أواخر عام 403هـ.

3 – صار فور بلوغه من روَّاد مجلس أستاذه أبي القاسم المصري.

4 – كان يَدرُسُ على شيخه ابن الخراز عام 401هـ.

5 – إن ابن حزم نفسه هو مصدرُ تحديدِ هذه السنين والتواريخ، عن طريقِ رسالته "طوق الحمامة"، أو على لسانِ تلميذه الحميدي.[1]

وعلى فرض صحة هذه القصة فلا مطعن على ابن حزم فيها، فالعبرة بما وصل إليه من العلم، فكم وُجِد من طلب العلم على كِبَر فأضحى فرد زمانه فيه، وكم طالب للعلم منذ صباه لم يحصل إلا على القدر اليسير منه، فالعبرة بتوفيق الله تعالى وإعانته وبركته. وأيضاً لا يُستبعد أن يكون تحديد العمر بالسادسة والعشرين خطأ من النساخ، أو اختلاق من بعض أعدائه الذين خف ورعهم، والله أعلم.

حياته العلمية ومواهبه

أكثر ما عرف عنه بأنه ابن حزم الفقيه الظاهري، وقد كان قبل أن يسلك مسلك أهل الظاهر في فهم النصوص على مذهب الإمام الشافعي –رحمه الله– أقام على ذلك زمانًا، ثم انتقل إلى القول بالظاهر، وأفرط في ذلك حتى أربى على أبي سليمان داود الظاهري وغيره من أهل الظاهر.

لكن مَن خَبر العلوم وتوسّع في المنطوق والمفهوم عرف أن ابن حزم لم يكن مجرد فقيه، بل كان رجل في أُمَّة، وأُمَّة في رجل، فهو مُفَسِّر مع المُفَسِّرين، ومُحَدِّث مع

(1) مقالة للشيخ محمد المنوني المتوفى سنة (1999م)، وهي بعنوان: " شيوخ ابن حزم في مقروءاته ومروياته"، وهي منشورة في مجلة المناهل، العدد السابع، الصادر في 1 نوفمبر 1976م، من صفحة 241 – 261.
أما ترتيب الحجج فنقلاً عن مقدمة تحقيق كتاب "المحلّى بالآثار في شرح المجلّى بالاختصار" لابن حزم: 27/1؛ تحقيق خالد الربّاط وآخرون.

المُحَدِّثين، وحافِظ مع الحُفّأظ، وفقيه مع الفقهاء، ومُقرِئ مع المُقرِئين، وأُصولي مع الأُصوليين، ومُتَكَلِّم مع المُتَكَلِّمين، وفيلسوف مع الفلاسفة، وحكيم مع الحكماء، وزاهِد مع الزُّهَّاد، وعابِد مع العُبّاد، وداعٍ إلى الله مع الدُّعاة، وأديب مع الأدباء، ولغويٌّ مع اللغويين، وكاتِب مع الكُتَّاب، وشاعِر مع الشعراء، وخطيب مع الخطباء، ومؤرِّخ مع المؤرِّخين، ورئيس مع الرؤساء، ووزير مع الوزراء، وحاكِم مع الحُكَّام، إلّا عِلم العدد والهندسة،[1] قال فيه عن نفسه: فلم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ، ولا تحقّقنا به.[2]

فلم يكن ابن حزم شخصية عادية، بل شخصية موسوعية، وجامعة متنقلة، فرغم مضي ما يقرب من ألف عام على خروجه من الدنيا إلا أن تأثيره بمؤلفاته وكتبه ورسائله باقية إلى يومنا هذا، ولعلها تستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

5 – صفاته:

أولاً: صفاته العقلية:

1 – حافظة قوية مستوعبة.

وهذه الذاكرة القوية الواعية مكنته من حفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين، مما جعله عالماً بفقههم، مستخرجاً للأحكام والبناء عليها وفق منهجه الفقهي، وكان حافظاً لسير الأولين يربط علومه التي استحفظها، ووعاها بعضها ببعض في تناسق فكري اختص به من بين معاصريه من العلماء والفقهاء، حتى كان معاصروه والمؤرخون له يعجبون من قوة حافظته وعظم إحاطته، وكثر استيعابه.[3]

ويشهد لحافظته الفذة مؤلفاته وما فيها من سرد للأدلة، ورد حجج المخالفين وتفنيدها، إضافة إلى ثناء أهل العلم عليه، والذي سيأتي معنا.

2 – البديهة الحاضرة، والاطلاع الواسع، والذكاء المفرط.

---

(1) يُنظر معجم فقه ابن حزم للكتاني: ص 10.

(2) نفح الطِّيب: 176/3.

(3) ابن حزم، لأبي زهرة: ص 56 بتصرف.

كانت بديهته الحاضرة تجيء فيها أرسال المعاني في وقت الحاجة إليها، وتنثال عليه انثيالاً فتسعفه في الجدال، وتنصره في النزال الذي يختار خصومه مع من يؤيدهم من الأمراء والحكام ميدانه، فما يبلغون شأوه، ولا يصلون إلى غايته.

ويذكر الذهبي في "تذكرة الحفاظ"[1] أنه ذُكِر لابن حزم من يقول: أجل المصنفات الموطأ؛ فقال: بل أولى الكتب بالتعظيم الصحيحان، وصحيح سعيد بن السكن، والمنتقى لابن الجارود، والمنتقى لقاسم بن أصبغ، ثم بعد هذه الكتب كتاب أبي داود، وكتاب النسائي، ومصنف قاسم بن أصبغ، ومصنف الطحاوي، ومسند البزار، ومسند ابن أبي شيبة، ومسند أحمد بن حنبل، ومسند ابن راهويه، ومسند الطيالسي، ومسند الحسن بن سفيان، ومسند سنجر، ومسند عبد الله بن محمد المسندي، ومسند يعقوب بن شيبة، ومسند علي بن المديني، ومسند ابن أبي غرزة، وما جرى مجرى هذه الكتب التي أفردت لكلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صرفًا، ثم بعدها التي فيها كلامه وكلام غيره، مثل مصنف عبد الرزاق، ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنف بقي بن مخلد، وكتاب محمد بن نصر المروزي، وكتاب أبي بكر بن المنذر الأكبر والأصغر، ثم مصنف حماد بن سلمة، ومصنف سعيد بن منصور، ومصنف وكيع، ومصنف الفريابي، وموطأ مالك بن أنس، وموطأ ابن أبي ذئب، وموطأ ابن وهب، ومسائل أحمد بن حنبل، وفقه أبي عبيد، وفقه أبي ثور.

وهكذا، وإن هذا لا يدل على قوة الحفظ فقط، بل يدل مع ذلك على أمرين:

أحدهما: الاستيعاب والاطلاع والموازنة بين كل ما قرأه، وإنه لكثير.

وثانيهما: حضور البديهة، واستحضار المعلومات في وقت الحاجة إليها، والمسارعة بالإجابة عند الحاجة.[2]

ثانياً: الصفات النفسية والخُلُقية:

(1) تذكرة الحفاظ: 231/3. وهي مذكورة أيضاً في: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: 74/10، وسير أعلام النبلاء: 202/18؛ والوافي بالوفيات: 94/20.

(2) ابن حزم، حياته وعصره–آراؤه وفقهه: ص 56 بتصرف يسير.

1 – الصبر والجَلَد والمثابرة.

لقد جد ابن حزم في طلب العلم وتحصيله، وانصرف إليه بكليته، ولم يجعل من نفسه فراغاً لغيره، لأنه وجد ذلك سبيل علوه، وهو فوق ذلك سبيل الله تعالى، فإن من طلب العلم لله وصل إلى مبتغاه، وهو أسمى غاية، ونال العلو به بين الناس فيجمع الله له حظ الدنيا والآخرة.[1]

2 – حدة الطبع والشدّة.

ولعل هذه الحدة من أكثر ما عُرف عن ابن حزم، فلم يكن يكتفي بالتصريح بما يراه حقاً، بل ربما جاوز ذلك بتشنيعه على المخالف بعبارات قوية فيها بعض العنف، وهذا ما جعل النفوس تنفر عنه، وتنصرف عما لديه من علم كبير.

قال الإمام الذهبي واصفاً شدة ابن حزم وتقريعه على مخالفيه: " وصنف في ذلك كتبا كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجج العبارة، وسب وجدع، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها، ونفروا منها، وأحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها انتقادا واستفادة، وأخذا ومؤاخذة، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجا في الرصف بالخرز المهين، فتارة يطربون، ومرة يعجبون، ومن تفرده يهزؤون.

وفي الجملة فالكمال عزيز، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر.

وفيه دين وخير، ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة، ولزم منزله مكبا على العلم، فلا نغلو فيه، ولا نجفو عنه، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار".[2]

---

(1) المرجع السابق ص 59.

(2) سير أعلام النبلاء: 18/186-187.

بل بلغت شـــدته عند مخاليفه أن شُـــبِّهَت بســـيف الحجاج، فقد قال أبو العباس ابن العَرِيف: كان لِسَانُ ابن حزم وسيفُ الحَجَّاج شقيقين.[1]

ومن أجل هذه الحدة والقســوة أيضــاً قارن الحافظ الســخاوي –رحمه الله تعالى– في الإعلان بالتوبيخ لمن ذَمَّ التاريخ بين ابن حزم وابن تيمية، فقال: " وكذا ممن حصـــل من بعض النـاس منهم نفرة وتحـام عن الانتفـاع بعلمهم، مع جلالتهم علمـاً وورعـاً وزهـداً؛ لإطلاق لسانهم وعدم مداراتهم، بحيث يتكلمون ويجرحون بما فيه مبالغة كـ: ابن حزم وابن تيمية وهما ممن امتحن وأوذي، وكل أحد من الأمة يؤخذ من قوله ويترك إلا رسـول الله – صلى الله عليه وسلم–.[2]

وقد أرجع المهتمون بشـخصـية ابن حزم أسـباب هذه الحدة، والشـدة في الخطاب عند الرد على المخالف إلى عدة أسباب، منها:

1 – ما ذكر هو عن نفســـه أنه أصـــيب بمرض في الطحال فولّد عليه ذلك من الضـجر وضـيق الخلق وقلة الصـبر والنَزَق، حتى أنّه نفسـه أنكر تبدّل خلقه، فقد قال عن ذلك: "وَلَقَد أصابتني عِلّة شَدِيدَة ولدت عَليّ ربوا فِي الطحال شَدِيدا فولد ذَلِك عَليّ من الضـجر وضـيق الْخلق وَقلة الصَّبْر والنزق أمرا حاسبت نَفسِـي فِيهِ إِذْ أنْكرت تبدل خلقي وَاشْـتَدَّ عجبي من مفارقتي لطبعي وَصَـحَّ عِنْدِي أَن الطحال مَوضِـع الْفَرح إِذا فسد تولد ضِدّه".[3]

2 – ما أحســه من إرادة الســوء به وإنزال الأذى، وأي أذى أشـد وأعظم أثراً في نفس العالم من أن يرى جهوده وثمرات فكره تحترق بين يديه ويشهد العالم احتراقها، إن ذلك يخرج الحليم عن حلمه، فكان –بلا شـك– كيدُ خصـومه له من أسـباب حدته بل إنه

---

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: 328/3. ومرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: 62/3. وتذكرة الحفاظ: 231/3، وسير أعلام النبلاء: 199/18، وتاريخ الإسلام: 74/10.

(2) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ: 211.

(3) الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم: 71.

أعظم أسبابها،[1] فألوان الظلم التي لحقت به هي التي أنضبت معين اللين والرقة في نفسه".[2]

وإن كنا نريد من ذلك العالم العبقري والحكيم الخلقي أن يعلو عن الحدة حتى في هذه الأحوال.[3]

3 – إن إخلاص ابن حزم قد كان سبباً في الصفة التي اشتهر بها، وهي الصراحة في الحق. ينطق بقول الحق، لا يهمه رضي الناس أم سخطوا، ويستوي عنده الإيذاء والثناء ما دام الحق يدفعه إلى أن يقول ما قال.[4]

قال أبو مروان بن حيان: وكان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه، على استرسال في طباعه ومذل بأسراره واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده ﴿لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، لم يك يلطّف صدعه بما عنده بتعريض، ولا يزفّه بتدريج، بل يصكّ به معارضه صكّ الجندل.[5]

فحدة ابن حزم إنما هي نوع من الصراحة والوضوح والشجاعة والجرأة وعدم المداراة والصدق الكامل، والتدين الذي لا يخشى معه صاحبه إلا رضا الله سبحانه وتعالى، ويبدو أن هذه الأخلاق كلها قد ضاعت أيام ابن حزم، فأصبح بها ابن حزم غريباً بين أهله جاهلاً بسياسة العلم.[6]

والحق أن ما ورد في رسالته الرائعة "مداواة النفوس" يعتبر مرآة تشف عن ابن حزم، وقد لا تكون أخلاقه صورة كاملة لكل ما ورد فيها إلا أنها تجلي لنا أعماق إنسان لم يفهمه عصره... عصر الفتنة والطوائف!![7]

---

(1) ابن حزم، لأبي زهرة ص 63.

(2) تاريخ الفكر الأندلسي: ص 216؛ تأليف: آنجل جنثالث بالنثيا؛ ترجمة حسين مؤنس.

(3) ابن حزم، لأبي زهرة ص 63.

(4) ابن حزم، لأبي زهرة ص 62.

(5) معجم الأدباء: 1655/4.

(6) ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري: ص 73.

(7) المرجع السابق: ص 73-74.

4 – ابن حزم مواطن أندلســـي، والإنســـان ابن بيئته بالطبع كما يقول ابن خلدون، فالأندلسـيون كالمغاربة اعترفوا من قديم: بأن في طِباعهم حِدَّة، وفي خَلْقهم شَـكاسَـة، فإذا أرادوا أن يصــفوا لطيفاً من بينهم، وادع النفس سَــمْحها، قالوا: هو على رِقَّةِ أهل المشرِق.[1]

على أن علم النفس يقول: إن مع الحِدّة والشكاسة سلامة الطَّوِيَّة، وطيبة النفس.

نعم! حِدَّة ابن حزم سـليمة الطوية، طيّبة العاقِبَة، وهي منه صــلابة في الدِّين، وغيرة على الحق، ســرعان ما يرجع بعدها ويفيء إلى المُوادَعَة والمُؤانَسَــة. فأبو حنيفة، ومالك، والشـــافعي، هم عنده كما هم عند الناس أئمة هدى وخير، ومُجْتَهِدون مأجورون على أيِّ حال، ناصِحون للإسلام والمسلمين، يدعو لهم برحمة من الله ورضوان.[2]

يقول ابن حزم في الإحكام: إن أبا حنيفة ومالكاً –رحمهما الله– اجتهدا وكانا مما أُمِرَا بالاجتهاد ... وجريا على طريق مَن سَــلَف في ترك التقليد فأُجِرا فيما أصـــابا فيه أجرين وأُجِرَا فيما أخطآ فيه أجراً واحداً وسلما من الوزر في ذلك.[3]

ويقول عن الإمام مالك –رحمه الله–: كان عندنا أحد الأئمة الناصـــحين لهذه الملة، ولكنه أصاب وأخطأ، واجتهد فوفّق وحُرِم، كسائر العلماء ولا فرق.(4)

ويقول في حق خصمه أبي الوليد الباجي الذي رُشح لمناظرته: "لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي إلا عبد الوهاب والباجي لكفاهم".[5]

5 – وهناك وصف آخر في ابن حزم ربما كان من أسباب حدته وهو بلا ريب سبب من أسباب ذوقه الفني في النثر والشعر، فالله تعالى قد أعطاه فوق ذلك صدق حس، وبعد غور في إدراك حقائق النفوس، وأعطاه مع ذلك قوة معها عقل مدرك، وخلق

---

(1) معجم فقه ابن حزم: ص 31.

(2) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(3) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: 120/2.

(4) المرجع السابق: 122/2.

(5) شجرة النور الزكية: 178/1.

كامل أنتجت صدق نظر، ومدارك تشبه الإلهام، ومشاركة وجدانية بينه وبين الناس تجعله يدرك كنه نفوسهم، ويكون بذلك صادق الفراسة يدرك أغوار النفوس بلقانة سريعة، وإحساس قوي عميق.[1]

وكتابه "طوق الحمامة" خير دليل على إحساسه القوي، وفكره المستقري.

3 – سرعة رجوعه إلى الحقِّ وعدم التمادي في الباطل[2]

وهذه قصة حصلت معه تدل على إنصافه وتجرده للحق، ولا يرى بأساً من أن يحكيها، حيث يقول: "وأخبرك بحكاية لولا رجاؤها في أن يسهل بها الانصاف عمن لعله ينافر ما ذكرناها وهي أني ناظرت رجلاً من أصحابنا في مسألة فعلوته فيها لبكوء كان في لسانه وانتفض المجلس على أنى ظاهر، فلما أتيت منزلي حاك في نفسي منها شيء فتطلبتها بعض الكتب فوجدت برهاناً صحيحاً يبين بطلان قولي وصحة قول خصمي، وكان معي أحد أصحابنا ممن شهد ذلك المجلس فعرفته بذلك، ثم أنى قد علّمت على المكان من الكتاب فقال لي: ما تريد؟ حمل هذا الكتاب وعرضه على فلان وإعلامه بأنه المحقق وأني المبطل وأني راجع إلى قوله. فهجم عليه من ذلك أمر مبهت وقال لي: وتسمح نفسك بهذا؟! فقلت له: نعم، ولو أمكنني ذلك في وقتي هذا ما أخرته إلى غد.

واعلم أن هذا الفعل يكسبك أجمل الذكر مع تحليك بالانصاف الذي لا شيء يعدله. ولا يكن غرضك أن توهم نفسك أنك غالب أو توهم من حضرك ممن يغتر بك ويثق بحكمك أنك غالب وأنت بالحقيقة مغلوب، فتكون خسيساً وضيعاً جداً وسخيفاً البتة وساقط الهمة بمنزلة من يوهم نفسه أنه ملك مطاع وهو شقيّ منحوس، أو في نصاب من يقال له" إنك أبيض مليح. وهو أسود مشوه، فيحصل مسخرة ومهزأة عند أهل العقول الذين قضاؤهم هو الحق.[3]

---

(1) ابن حزم، لأبي زهرة: ص 64.

(2) مقدمة تحقيق المحلى، لخالد الرباط وآخرون: ص 30.

(3) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية لابن حزم: 194، وهي ضمن رسائل ابن حزم: 231/4..

ونجد أمثلة تطبيقية كثيرة في مؤلفاته، فكثيراً ما يذكر القول ثم يقول: ثم استدركنا فقلنا، فلا يمنعه الكِبْرُ من الرجوع إلى الحقِّ والتمسك به بعدما تبين له.

مثال ذلك قوله في التيمم بجواز تقديم الوجه على اليدين والعكس، ثم عاد فقال: ثم استدركنا قوله – صلى الله عليه وسلم – "ابدأوا بما بدأ الله به"[1]، فوجب أن لا يجزئ إلا الابتداء بالوجه ثم اليدين.

وغير ذلك الكثير سواء الأحكام الفقهية أو الكلام عن الأحاديث صحة وضعفاً.

4 – الوفاء.

لقد كان ابن حزم وفيّاً لأصدقائه، ولشيوخه، ولكل من اتصل به ولو لمرة واحدة، فيقول عن نفسه: "ولا أقول قولى هذا ممتدحاً ولكن آخذاً بأدب الله عز وجل ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضحى: 11] : لقد منحني الله عز وجل من الوفاء لكل من يمت إلى بلقية واحدة، ووهبني من المحافظة لمن يتذمم مني ولو بمحادثته ساعة حظاً أنا له شاكر وحامد، ومنه مستمد ومستزيد، وما شيء أثقل علي من الغدر؛ ولعمري ما سمحت نفسي قط في الفكرة في إضرار من بيني وبينه أقل ذمام، وإن عظمت جريريته وكثرت إليّ ذنوبه، ولقد دهمني من هذا غير قليل فما جزيت على السوءى إلا بالحسنى، والحمد لله على ذلك كثيراً".[2]

ويقول: "وكذلك أنا في السلو والتوقي، فما نسيت وداً لي قط، وإن حنيني إلى كل عهد تقدم لي ليغصني بالطعام ويشرقني بالماء، وقد استراح من لم تكن هذه صفته.

وما مللت شيئاً قط بعد معرفتي به، ولا أسرعت إلى الأنس مذ كنت، لا أقول الألاف والإخوان وحدهم، لكن في كل ما يستعمل الإنسان من ملبوس ومركوب ومطعوم وغير ذلك، وما انتفعت بعيش ولا فارقني الإطراق والانغلاق مذ ذقت طعم فراق الأحبة، وإنه

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (147).

(2) طوق الحمامة لابن حزم: ص 210.

لشـــجى يعتادني وولوع هم ما ينفعك يطرقني، ولقد نغص تذكري ما مضـــى كل عيش استأنفه، وإني لقتيل الهموم في عداد الأحياء، ودفين الأسى بين أهل الدنيا".[1]

فنستشف من كلامه أن الوفاء جوهر نفسه، وخلته، فكان وفياً لكل من له صلة به حتى ولو كان جماداً، وهذه الصـــفة كانت جبلّيّة فيه، يقول عن ذلك: " إني جبلت على طبيعتين لا يهنأني معهما عيش أبداً، وغني لأبرم بحياتي باجتماعهما وأود التغيب من نفسي أحياناً لأفقد ما أنا بسببه من النكد من أجلهما وهما: وفاء لا يشوبه تلون قد استوت فيه الحضرة والمغيب، والباطن والظاهر، تولده الألفة التي لم تعزف بها نفسي عما دربته، ولا تتطلع إلى عدم من صحبته، وعزة نفس لا تقر على الضيم، مهتمة لأقل ما يرد عليها من تغير المعارف، مؤثرة للموت عليه؛ فكل واحدة من هاتين السجيتين تدعو إلى نفسها وإني لأجفى فأحتمل، واستعمل الأناة الطويلة، والتلوم الذي لا يكاد يطيقه أحد، فإذا أفرط الأمر وحميت نفسي تصبرت، وفي القلب ما فيه...[2]

5 – الاعتزاز بالنفس.[3]

وإن ابن حزم قد أوتي مع الوفاء اعتزازاً بنفســـه، فلا يدني نفســـه، ولا ينزل بها، وإن الاعتزاز بالنسبة له هو معدنه، لقد كان يعتز بنفسه؛ لأنه نشأ عزيزاً في قومه، وما زادته الحوادث إلا صقلاً وصفاءً، فما وهن ولا ضعف وما استكان. ناله الذين آذوه بالسجن والتغريب ولكن لم ينالوا من نفســـه العزيزة في ذاتها، القوية المعتمدة على الله في الســـراء والضراء. ولقد ذاق العيش الحلو والمر، ما استوهته لذات العيش إلى ما ينافي عزته، ولا هوت به مرارة الحياة إلى مواطن الذلة. بل كان العزيز في حالي الرخاء والبأســـاء. لا يطلب حاجة ممن لا يفي بحاجته، ولقد قال في ذلك:

---

(1) طوق الحمامة: ص 125.

(2) طوق الحمامة: 256.

(3) ابن حزم لأبي زهرة: ص 66.

"إن محمد بن وليد بن مكسير الكاتب كان متصلاً بي ومنقطعاً إلي أيام وزارة أبي رحمة الله عليه، فلما وقع بقرطبة ما وقع وتغيرت الأحوال خرج إلى بعض النواحي فاتصل بصاحبها فعرض جاهه وحدثت له وجاهة وحال حسنة.

فحللت أنا تلك الناحية في بعض رحلتي فلم يوفني حقي بل ثقل عليه مكاني وأساءء معاملتي وصحبتي، وكلفته في خلال ذلك حاجة لم يقم فيها ولا قعد، واشتغل عنها بما ليس في مثله شغل، فكتبت إليه شعراً أعاتبه فيه، فجاوبني مستعتباً على ذلك، فما كلفته حاجة بعدها".[1]

وإن الذي نمَّى الاعتزاز بالنفس فيه ثلاثة أمور:

أولها: ابتعاده عن السياسة ونحوها وحبس مطامعها، فإن المصرع النفسية للرجال تحت بروق المطامع، وما كان الطمع في أي ناحية إلا كان معه ذل أيَّاً كانت صورته، وقديماً قال العربي: "أذلّت المطامع أعناق الرجال". فمِن يوم جافى أبو محمد بن حزم السياسة ومطامعها، وترك كل شيء إلا العلم، فقد آوى إلى ركن العزة النفسية الحصين.

وثانيها: ما آتاه الله من مواهب عقلية يشعر معها بأنه فوق أقرانه من العلماء، وفوق الأمراء، فإنه كان يحس بأنه فوقهم لأنه كان في منصب الإمرة مثلهم واعتزله زهادة فيه، وما كان واحد منهم له مثل إدراكه وعقله.

وثالثها: يسار العيش الذي مَنَّ الله به عليه، فلم يجعله في حاجة إلى عطاء أمير أو وزير، فاستغنى عن الناس واعتز بالله، وأنه لا يذل الكريم إلا الحاجة، وقد أغناه الله عنها.

6 – التّدَيُّن.[2]

أما تدينه فحسبك أنه عاش في ظروف تدعو كلها إلى المعصية ومع ذلك فهو كما قال عن نفسه: "يعلم الله – وكفى به عليماً – أني بريء الساحة، سليم الأديم، صحيح البشرة، نقي الحجزة، وإني أقسم بالله أجل الأقسام أني ما حللت مئزري على فرج حرام قط،

---

(1) طوق الحمامة: 207–208

(2) ابن حزم الأندلس لعبد الحليم عويس: 72–73.

ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا مذ عقلت إلى يومي هذا، والله المحمود على ذلك، والمشكور فيما مضى، والمستعصم فيما بقي".[1]

وفي غير هذا الموضع يروي لنا قصصاً تؤيد تدينه، ونحن لا نتهمه بالكذب، لأنه قد ذكر لنا جريمة الكذب في غير موضـــع على أنها من أكبر الكبائر، بل يعتبر الكذب: أصل كل فاحشة، وجامع كل سوء، وجالباً لمقت الله عز وجل ...، وهل الكفر إلا الكذب على الله. والله الحق وهو يحب الحق. وما رأيت أخزى من كذاب. وما هلكت الدول ولا هلكت الممالك، ولا سفكت الدماء ظلماً، ولا هتكت الأستار بغير النمائم والكذب.[2]

تلك سجايا ابن حزم وأخلاقه ومواهبه، وكلها يتجه به نحو العلم اتجاهاً مستقيماً، ومِن شأنها أن تجعل من صاحبها عالماً مجيداً إذا وجدت الموجهين الصالحين، والجو العلمي الذي تنمو فيه وتترعرع، وتنتج أطيب الثمرات، ثم انصـرف صـاحبها إلى العلم، وقد كان هذا كله من ابن حزم.[3]

---

(1) طوق الحمامة: ص 272.

(2) المرجع السـابق: 175-176، وأغلب الذين ترجموا للإمام ابن حزم وسـموه بالتدين كالحميدي في جذوة المقتبس: 309، والإمام الذهبي في السير: 188/18، وتاريخ الإسلام: 74/10، وتذكرة الحفاظ: 228/3؛ وابن خلكان في وفيات الأعيان: 326/3؛ وابن عبد الهادي في طبقات علماء الحديث: 344/3؛ و ابن العماد في شـذرات الذهب في أخبار من ذهب: 241/5، وغيرهم.

(3) ابن حزم لأبي زهرة: 67.

المبحث الثاني

شيوخ الإمام ابن حزم

مر معنا أن ابن حزم أخذ مبادئ العلوم من قراءة للقرآن ورواية للأشعار والخط على نساء القصر، أما الدراسة المنتظمة على أيدي الشيوخ فيمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين:[1]

القسم الأول: الذين يصرح ابن حزم نفسه أنه أخذ عنهم في المرحلة ذاتها، وهم حسب تسلسل وفياتهم:

---

(1) استفدت في هذا المبحث من مقالة للشيخ محمد المنوني المتوفى سنة (1999م)، وهي بعنوان: " شيوخ ابن حزم في مقروءاته ومروياته"، وهي منشورة في مجلة المناهل، العدد السابع، الصادر في 1 نوفمبر 1976م، من صفحة 241 – 261. مع ملاحظة أنه أخطأ بإدراج عبد الله بن محمد بن علي الباجي ضمن شيوخ ابن حزم وأنه يروي مصنف عبد الرزاق عن هذا الإمام. وتبعه على ذلك بعض الباحثين. وليس كذلك فالباجي هذا متوفى سنة 378هـ وابن حزم مولود سنة 384هـ، أي أنه كان طفلاً، وإنما يروي عنه ابن حزم بواسطة شيخه حُمام بن أحمد بن عبد الله الأطروش كما في مواطن عدة من المحلى، وسبب الخطأ والله أعلم أن النسخة التي اعتمد عليها المنوني من المحلّى سقط من كتاب السرقة، موضع "قطع الدراهم" اسم حُمام الأطروش، فظنه أحد مشايخ ابن حزم، لكن النسخ الحديثة أثبتت اسم شيخه حُمام في السند الذي حصل فيه السقط، فنسخة دار الفكر ببيروت في الموقع المذكور: 363/12 سقط منها اسم شيخه حُمام. لكن النسخة التي أخرجتها دار ابن حزم بتحقيق خالد الرباط وآخرون أثبتت اسم شيخه وهو الصواب، انظر ذلك في الجزء 16 صفحة 400، عند مسألة قطع الدراهم، ورقمها "2298".

أما مصادر معرفة شيوخ ابن حزم، فذكر هو نفسه العديد منهم في كتابه المحلى، وأيضاً ذكر الكثير منهم الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام: 74/10، ولسان الميزان: 488/5، وسير أعلام النبلاء: 184/18–212؛ وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب: 37/1–38.

وقد ذكر الأستاذ خالد الربّاط في مقدمة المحلّى عند ترجمته لابن حزم "34/1"، أن في هذا تفنيداً لكلام الشاطبي –رحمه الله تعالى– حين قال عن ابن حزم أنه لم يلازم الأخذ عن الشيوخ ولا تأدب بآدابهم. انظر: الموافقات للشاطبي: 144/1.

يقول أبو عبد الرحمن الظاهري: ما قرأت عن عالم يشار إليه بالبنان في بلاد أبي محمد دون أن يتتلمذ عليه أبو محمد، بل هو من أكثر أترابه شيوخاً وله معجم بذلك، إلا أن أبا محمد يتميز بملحظين: أن روايته عن مشايخه بالإجازة، أو النقل عنهم فيما يجمع من طرائف وأخبار. أن له قلة من المشايخ الخلص لازمهم في صغره ملازمة التلميذ، ثم كان له مشايخ لازمهم ملازمة النِدّ، يستفيد من علمهم ولا يستسلم لحضانتهم. انظر: "التلخيص لوجوه التخليص: ص 67.

1 – ابن الجســـور: أحمد بن محمد بن أحمد الأموي بالولاء، القرطبي. المحدث المكثر، المتوفى عام 401هـ.[1]

وقد علمنا –سلفاً– أنه أول شيوخ ابن حزم في السماع، وقد روى عنه: "موطأ مالك" رواية يحيى بن يحيى، و"مدونة ســحنون"، و"مســند أبي بكر بن أبي شــيبة"، و"فقه أبي عبيد: القاسم بن سلّام"، و"مسند عبد بن حُميد"، و"تاريخ محمد بن جرير الطبري".

2 – ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي القرطبي، المحدث الحافظ، الراوية، المتفنن، المتوفى عام 403هـ.[2]

وهو من أساتذة ابن حزم أيام تلقيه للحديث بقرطبة، والغالب أن أخذه عن أستاذه كان دراية لا رواية، حيث لا يرد ذكره في أسـانيد مرويات ابن حزم التي تحفل بها بعض كتبه، ولهذا لا نستطيع معرفة الكتاب أو الكتب التي قرأها على شيخه ابن الفرضي.

3 – أبو القاسم المصري: عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد خالد الأزدي العتكي،[3] النســابة الأديب، ورد على الأندلس عام 394هـــــ، ثم ارتحل عنها بعيد الأربعمائة، وكانت وفاته بمصر عام 410هـ.

---

(1) ابْن الجَسُـوْرِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الأُمَوِيُّ. الإِمَامُ، المُحَدِّثُ، الثِّقَةُ، الأَدِيْبُ، أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ سَـعِيْدِ بنِ الحُبَابِ الأُمَوِيُّ مَوْلَاهُمُ، القُرْطُبِيّ، ابْنُ الجَسُـور، وَقَدْ كَنَّاهُ أَبُو إِسْـحَاقَ بن شِـنْظير: أَبَا عُمَيْر، وَالأَوَّلُ أَصـحّ. وَهُوَ أَكْبَر شَـيْخٍ لابْنِ حَزْم. مَاتَ فِي ذِي القَعْدَةِ سَـنَة إِحْدَى وَأَرْبَع مائَة ولَهُ نَيِّفٌ وثَمَانُوْنَ سَـنَةً. [سير أعلام النبلاء: 148/17؛ وتنظر ترجمته في: تاريخ الإسـلام: 26/9؛ والصـلة في تاريخ أئمة الأندلس: ص 29؛ وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: ص 154].

(2) أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الحافظ المعروف بابن الفرضي: هو صاحب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس الذي ذيل عليه ابن بشـكوال بكتاب الصـلة. وله من المؤلفات أيضـاً أخبار شـعراء الأندلس، وكتاب في المؤتلف المختلف، وكان فقيهاً عالماً في جميع فنون الحديث، قتل في الفتنة لست خلون من شوال سنة 403هـ. [الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: 945/2. وتنظر ترجمته في: الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى «وهو مشـتمل على ثلاثة كتب في الكنى»: 32/1، والصـلة: 246؛ وتاريخ الإسـلام: 59/9؛ ونفح الطيب: 129/2].

(3) عَبْد الرَّحْمَن بْن محمد بن أبي يزيد خَالِد بْن خَالِد الأَزْديّ العتَكّي المصريّ، أبو القاسم الصّوّاف النّسّابة. [المتوفى: 410 هـ]. دخل الأندلس، وحدَّث عَنْ أَبِي عليّ بْن السَّكن، وأبي الطّاهر الذُهلي، وأبي العلاء بن ماهان، وجماعة.

ويبدو أنه من أوائل شـيوخ ابن حزم، وهو يذكر أنه بمجرد بلوغه صـار يرتاد مجلس أبي القاسم هذا، حيث أخذ عنه الحديث، والكلام، والجدل.

4 – أبو القاسـم ابن الخراز: عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني،[1] من أهل بجانة، المحدث الراوية. المتوفى بالمرية عام 411هـ.

دأب على أن يزور قرطبة كل عام ويحدث بها إلى أن وقعت الفتنة.

وقد كان ابن حزم يأخذ عنه الجامع الصحيح للبخاري عام 401هـ، وهو يحدد مكان ذلك في مسجد القمري بالجانب الغربي من قرطبة.

5 – ابن الجعفري: الفتى أبو سـعيد خلف مولى الحاجب جعفر، القرطبي،[2] العالم المقرئ، المتوفى عام 425هـ.

من شـيوخ ابن حزم في الأدب والحديث، قرأ عليه معلقة طرفة بن العبد مشـروحة بالمسـجد الجامع بقرطبة،[3] وفي نفس الجامع أخذ عنه الحديث، ومن مروياته "سـنن النسائي"، و"مصنف عبد الرزاق".

روى عَنْهُ أبو عمر ابن الحذّاء، وقال: كَانَ أديبًا حُلْوًا، حافظًا للحديث وأسماء الرجال، وله أشعار في كلّ فنّ، وكان تاجرا مقارضًا لأبي بَكْر بْن إسماعيل المهندس. وقيل: إن مولده في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة. [تاريخ الإسلام: 151/9؛ وتنظر ترجمته في: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: 659/2. والصلة: 337].

(1) عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسـافر الهمذانى، الوهرانى، ويعرف بابن الخرّاز، من أهل الحديث والرواية. وكان رجلا صـالحا منقبضـا، رحل إلى العراق وغيرها، وسـمع أحمد بن جعفر بن مالك القطيعى وغيره، روى عنه الإمامان الحافظان أبو محمد على بن أحمد بن سـعيد بن حزم وابن عبد البر، وهذا الأخير قرأ عليه "موطأ ابن القاسم" وكانت وفاته سنة احدى عشرة واربعمائة. [الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى: 32/1. وتنظر ترجمته في: الصلة: 305. وبغية الملتمس: 336. وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية: 635/2].

(2) خلف: مولى جعفر الفتى المقرىء، يعرف بابن الجعفري، سكن قرطبة يكنى: أبا سعيد. روى بقرطبة عن أبي جعفر بن عون الله وغيره. ورحل إلى المشرق وسمع بمكة، وبمصر، والقيروان. ذكره الخولاني وقال: كان: من أهل القرآن والعلم، نبيلا من أهل الفهم، مائلا إلى الزهد والانقباض، وحدث عنه أبو عبد الله بن عتاب وقال: كان خيراً فاضـلاً منقضباً عن الناس، وخرج عن قرطبة في الفتنة وقصد طرطوشة، وتوفي بها سنة خمس وعشرين وأربع مائة. كذا قال ابن عتاب سنة خمس وعشرين. وقال أبو عمرو المقرىء: توفي في ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وأربع مائة. [الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: 164].

(3) رسائل ابن حزم: 194/1.

هذه لائحة القسم الأول من شيوخ ابن حزم في مرحلة التحصيل، ونتبين أن ابن حزم خلال هذه الفترة كانت سنه لا تزال دون العشرين، فمولده عام 384هـ، وابتدأ السماع عام 399هـ، على شيخه ابن الجسور، ثم كان يأخذ عن ابن الفرضي قبل وفاته أواخر عام 403هـ، كما صار عند بلوغه من رواد مجلس أستاذه أبي القاسم المصري، بينما كان يدرس على ابن الخراز عام 401هـ.

فهذه أربع مقارنات يستنتج منها بطريقة ثابتة أن ابن حزم في هذه الفترة كانت سنه دون العشرين، ومما يزيد في أهمية الاستنتاج أن ابن حزم نفسه هو مصدر هذا التحديد عن طريق رسالته "طوق الحمامة"، أو على لسان تلميذه الحميدي.

أما القسم الثاني من أساتذة ابن حزم في مرحلة التحصيل، فيمكن أن نستشفها من إشارته في رسالة "طوق الحمامة" عند ذكر المصعب[1] ولد شيخه عبد الله ابن الفرضي، ثم يعقب بقوله: "... وكان المصعب لنا صديقاً وأخاً وأليفاً أيام طلبنا الحديث على والده وسائر شيوخ المحدثين بقرطبة ".[2]

ففي عبارته إشارة إلى أنه كان يأخذ الحديث عن شيوخ قرطبة الآخرين في نفس الفترة التي كان يدرس فيها على ابن الفرضي خلال مرحلته التحصيلية.

ويمكن استخراج أسمائهم ومرويات ابن حزم عنهم بواسطة إسناده للأحاديث والآثار عنهم في بعض مؤلفاته، حيث يترجح أنه أخذ عنهم في مرحلة التحصيل، ولهذا سنذيل بذكرهم لائحة الشيوخ الخمسة السابقين.

---

(1) مصعب ابن الحافظ المؤرخ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفَرَضيّ، أبو بَكْر الأَزْديّ القُرْطُبيّ. [الوفاة: 431 – 440 هـ]. روى عَنْ: أبيه، وأبي محمد بن أسد، وأحمد بن هشام، واستجازَ له أبوه جماعةً سمّى بعضهم في " تاريخ الأندلس " له. وذكره الحُمَيْديّ فقال: أديب، محدث، إخباريّ، شاعر، ولي الحكم بالجزيرة، ثم روى عنه الحميدي، وقال: كان حيا قبل الأربعين وأربعمائة. [جذوة المقتبس: 352. والصلة: 539. وبغية الملتمس: 471. وتاريخ الإسلام: 603/9].

(2) طوق الحمامة: 162.

6 – ابن وجه الجنة: يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود القرطبي[1] المحدث، المتوفى عام 402هـ.

روى عنه مسند أحمد بن حنبل، وقطعة وكيع ابن الجراح، وسنن إسماعيل بن إسحاق القاضي.

7 – أبو محمد بن بنوش: عبد الله بن محمد بن ربيع التميمي القرطبي[2] المحدث، المتوفى عام 415هـ.

روى عنه صحيح البخاري، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، ومصنف حماد بن سلمة، والمنتقى لابن الجارود، وفقه الزهري، الذي جمع فيه محمد بن أحمد بن مفرج فتاويه في ثلاثة أسفار ضخمة مرتبة على أبواب الفقه، والنوادر لأبي علي القالي.

8 – الطلمنكي: أحمد بن محمد بن عبد الله القرطبي،[3] المحدث المقرئ، المتوفى بعد عام 420هـ.

روى عنه مسند البزار، ومصنف سعيد بن منصور.

---

(1) ابن وجه الجنة يحيى بن عبد الرحمن القرطبي. الشيخ، الثقة، المعمر، أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود بن موسى القرطبي، عرف: بابن وجه الجنة. كان خيرا دينا، من عدول القاضي أبي بكر بن السليم، وكان يلتزم صنعة الخز. حدث عنه: أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد بن حزم، وطائفة. مولده: في سنة أربع وثلاث مائة. ومات: في ذي الحجة سنة اثنتين وأربع مائة. وهو أكبر شيخ لقيه ابن حزم. [سير أعلام النبلاء: 204/17. وتاريخ الإسلام: 53/9. والصلة: 626].

(2) عَبْد الله بْن محمد بْن ربيع بْن صالح، أبو محمد التميمي القرطبي. [المتوفى: 415 هـ]. روى عن جماعة من المحدثين. وحجَّ في الكُهُولة سنة إحدى وثمانين، وكان ثقة ثبتا صالحا، دينا قانتا، يُعرف بابن بنوش. حدَّث عَنْهُ محمد بْن عَتّاب، وأبو محمد بْن حَزْم، وأبو عُمَر بْن مهديّ المقرئ، وجماعة. ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة، وتُوُفّي في جُمَادَى الأولى، وكان ملازمًا للاشتغال. [تاريخ الإسلام: 253/9. والصلة: 253].

(3) أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المعافري الأندلسي أبو عمر الطّلمنكي، عالم أهل قرطبة. روى عن أبي عيسى يحيى الليثي، وأبي القاسم الجوهري، وأبي الطيب ابن غلبون. وعنه ابن حزم، وابن عبد البر وغيرهما. وكان رأسا في علم القرآن، إماما حافظا، سيفا على أهل البدع، شديدا في السنة، يقرئ الناس ويسمعهم الحديث احتسابا. توفي سنة تسع وعشرين وأربع مائة. [قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: 374/3. وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 168/1].

9 – ابن نبات: محمد بن سعيد بن محمد الأموي القرطبي،[1] المحدث، المتوفى عام 429هـ.

روى عنه بعض مصنفات أحمد بن حنبل، والمجتبى لقاسم بن أصبغ، وفقه الزهري، ومصنف عبد الرزاق، وقطعة وكيع بن الجراح.

10 – ابن الصفار: يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث القرطبي،[2] قاضيها، المحدث، الفقيه، الراوية، المشارك، المتوفى عام 429هـ.

روى عنه سنن النسائي، ومسند أبي بكر بن أبي شيبة، ومعاني الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، وكتاب غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي، وفقه أبي عبيد القاسم بن سلّام.

11 – ابن أصبغ: أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ البياني القرطبي،[3] المحدث، المتوفى عام 430هـ.

روى عنه مصنف جده قاسم ابن أصبغ.

---

(1) محمد بن سعيد بن محمد بن نَبَات، أبو عبد الله الأُمويّ القُرْطُبيّ. [المتوفى: 429 هـ]. روى عن أبي عيسى اللَّيْثيّ، وأبي جعفر بن عَوْن الله، وأبي الحسن الأنطاكي المقرئ. وكان ثقة صالحا، معتنيا بالعلم، جيد المشاركة، من أهل السنة. توفي في المحرم عن ثلاثٍ وتسعين سنة. [تاريخ الإسلام: 465/9. والصلة: 492].

(2) ابن الصَّفَّار (338 – 429 هـ = 950 – 1038 م): يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث، أبو الوليد، المعروف بابن الصفار: اضي أندلسي، من أهل قرطبة. من متصوفة العلماء بالحديث. كان قاضيا ببطليوس وأعمالها، فخطيبا بجامع الزهراء، مع خطة لشورى. وقلده الخليفة هشام بن محمد المرواني القضاء بقرطبة، مع الوزارة، (سنة 419) ثم اقتُصر على القضاء إلى أن مات. صنف العديد من الكتب، وله نظم حسن في الزهد وما شابهه. [الأعلام: 262/8. وتنظر ترجمته في: ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 15/8، وجذوة المقتبس: 384. والصلة: 646. وبغية الملتمس: 512].

(3) أحمد بن قاسم بن أَصْبَغ البَيّانيّ، أبو عَمْرو القُرْطُبيّ. [المتوفى: 430 هـ]. روى عن أبيه قاسم بن محمد، عن جدّه قاسم بن أَصْبَغ جميع ما رواه. حدَّث عنه أبو محمد بن حزْم، والطّبْنيّ. وكان عفيفًا طاهرًا، شديد الانقباض. أصابه فالجٌ قبل موته. [الصلة: 52. وتاريخ الإسلام: 471/9].

12 – ابن نامي: عبد الله بن يوسف بن نامي الرهوني القرطبي،[1] العالم الصالح، المتوفى عام 435هـ.

يروي من طريقه صحيح مسلم.

وهؤلاء أساتذة قرطبيون أخذ عنهم ابن حزم دون التنصيص على مرويه عنهم، غير أنه يبدو من قرطبيتهم أن يكونوا من شيوخه خلال مرحلة التحصيل، وهذه لائحة بهم:

13 – البزاز: محمد بن عبد الله بن هانئ اللخمي القرطبي،[2] الفقيه المحدث المؤرخ، المتوفى عام 435هـ.

14 – الكاتب: جعفر بن يوسف القرطبي،[3] الأديب البارع في صناعة الكتابة، المتوفى عام 435هـ.

15 – ابن جهور: عبد الله بن محمد بن عبد الملك القرطبي.[4]

---

(1) عبد الله بن يوسف بن نامي بن أبيض، أبو محمد الرهونيّ القُرْطُبيّ. [المتوفى: 435 هـ]. روى عن: أبي الحسن الأنطاكيّ، عبّاس بن أَصْبَغ، ومحمد بن خليفة، وخَلَف بن القاسم. قال ابن مهديّ: كان صالحًا خيّرًا، مجوّدًا للقرآن، خاشعًا، ورِعًا، بكّاءً. مولده سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مائة، واختلط في آخر عمره، فتركوا الأخذ عنه. روى عنه أبو محمد بن حزْم في تصانيفه. [الصلة: 262؛ وتاريخ الإسلام: 548/9].

(2) محمد بْن عَبْد اللَّه بْن هانئ بْن هابيل، أبو عَبْد الله اللَّخْميّ القُرطبي البزّاز. [المتوفى: 410 هـ]. سَمِعَ من أحمد بْن سَعِيد بن حزم، وأحمد بْن مُطرف، وجماعة. وحجّ سنة سبْع وخمسين وثلاثمائة، فكتب عَنْ جماعة. روى عَنْهُ الخَوْلانيّ، وأبو عُمر بن سُميق، وأبو محمد بن حزم. وتوفي في ربيع الأوّل، وكان فقيهًا محدَّثًا عالمًا. [الصلة: 476. وتاريخ الإسلام: 156/9].

(3) جَعْفَر بْن يُوسُف بْن أَحْمَد بْن مُحَمَّد القَيْسيّ الْكَاتِب من أَهْل قرطبة وَيعرف بالباجي يكنى أَبَا القَاسِم كَانَ هُوَ وَأَبوهُ أَبُو عُمَر يُوسُف وابناه عَبْد اللَّه ويوسف أَبُو عُمَر من ذَوي البراعة فِي الْآدَاب والتقدم فِي صناعَة الْكِتَابَة وَكتب جَعْفَر هَذَا فِي صدر الْفِتْنَة لعدد من كبار الْمُلُوك آخِرهم يحيى بْن إِسْمَاعِيل بْن ذِي النُّون الْمَأْمُون وَعِنْده تُوُفّي بِمَدِينَة سَالم فِي آخر سنة خمس وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعمِائَة. [التكملة لكتاب الصلة: 193/1. وله ترجمة مختصرة في: جذوة المقتبس: 187. والصلة: 128. وبغية الملتمس: 256].

(4) عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن جهور: من أهل قرطبة. كان: من أهل الأدب والبيت الجليل والنباهة. ذكره أبو محمد علي بن أحمد بن حزم وروى عنه. لم تذكر المصادر تاريخ وفاته. [الصلة: 252. وجذوة المقتبس: 257. وبغية الملتمس: 334].

16 – ابن الغليظ: محمد بن عبد الأعلى بن هاشم القرطبي.[1]

فهؤلاء ستة عشر من أساتذة ابن حزم خلال مرحلة التحصيل المنتظم، أما نهاية هذا الدور فقد كانت عام 401هـ، وهي السنة التي كان ابن حزم يروي فيها صحيح البخاري عن شيخه أبي القاسم ابن الخراز سابق الذكر.

وإذا قلنا عام 401هـ فإنما نعني أوائله، حيث يذكر المترجم أنه شُغِل هو وأهل بيته بعد قيام هشام المؤيد[2] بالنكبات، وباعتداء رجال دولته، وامتحنوا بالاعتقال، والترقيب، والإغرام الفادح، والاستتار، وقد كانت مبايعة هشام المؤيد –للمرة الثانية– بتاريخ الأحد سابع ذي الحجة عام 400هـ.

ومما يشير إلى أن دور تحصيل المترجم انتهى عند التاريخ المشار له، قول الباجي لابن حزم –خلال تناظرهما–: " ... لأنك طلبت العلم وأنت معان عليه، فتسهر بمشكاة الذهب..."[3]، فهذه القولة تلوح إلى أن ابن حزم كان أبان طلبه المنتظم يعيش عيشة مترفة، وهي حياة لا تكون إلا قبل مصادرة هشام المؤيد لبيت ابن حزم وتنكيبهم ابتداء من أوائل عام 401هـ.

---

(1) محمد بن عبد الأعلى بن هاشم، يعرف بابن الغليظ: من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا عبد الله. روى عن أبي بكر بن القوطية وغيره. وكان من أهل العلم والأدب، وولي قضاء مالقة. روى عنه أبو محمد ابن خزم. [الصلة: 509. وجذوة المقتبس: 245. وبغية الملتمس: 106].

(2) المُؤَيَّد الأُمَوي (355 – 403 هـ = 966 – 1013 م) هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر، أبو الوليد، المؤيد الأموي: من خلفاء الدولة الأموية بالأندلس. ولد بقرطبة، وبويع يوم وفاة أبيه (سنة 366 هـ فاستأثر بتدبير مملكته المنصور ابن أبي عامر، ثم ابن المنصور، عبد الملك الملقب بالمظفر، ثم ابنه الثاني عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر. واستمر صاحب الترجمة خليفة في قفص، إلى أن طلب منه عبد الرحمن هذا أن يوليه عهده، فأجابه، وكتب له عهدا بالخلافة من بعده، فثارت ثائرة أهل الدولة لذلك، فقتلوا صاحب الشرطة وهو في باب قصر الخلافة بقرطبة (سنة 399) ونادوا بخلع المؤيد، وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن الناصر لدين الله، ولقبوه " المهدي بالله " وقتلوا عبد الرحمن الوزير. ثم كانت فتن انتهت بعودة المؤيد إلى ملكه في أواخر سنة 400 والثورات قائمة، فقتل المهدي، واستمر سنتين وشهورا لم يهدأ له فيها بال. وقتل سرا في قرطبة، بعد أن امتلكها سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بالله. وكان المؤيد ضعيفا، مهملا، فيه انقباض عن الناس وميل إلى العبادة، ومات عقيماً. [الأعلام للزركلي: 85/8. وتنظر أخباره في: بغية الملتمس: 21. وسير أعلام النبلاء: 123/17. والوافي بالوفيات: 204/27].

(3) نفح الطيب: 77/2.

ولعل قصر هذه المرحلة الدراسية هي التي جعلت بعض مناظريه يرميه بأنه ضعيف الرواية عار عن الشيوخ.[1]

وقد أفضت نكبات ابن حزم إلى رحيله عن بلدته قرطبة مفتتح عام 404هـ، وغدا يتردد للسكنى بجهات أندلسية أخرى، ومنها المرية، وبلنسية، وشاطبة، وميورقة، وإشبيلية، وأخيراً ينفى لبادية لبلة ليقضي بها بقية حياته، مع ملاحظة أنه خلال هذه الفترة الطويلة كان يعود للسكنى بقرطبة ويخرج منها.

والغالب أنه في أول هذه المرحلة كان قد اعتنق المذهب الشافعي، ولا يعرف –لحد الآن– نص يحدد أستاذه في هذا المذهب، غير أنه كان بالأندلس –إلى مبادئ هذه الفترة التي نعرضها– فقيه شافعي انتقل للسكنى بقرطبة، وهو:

17 – أبو القاسم: سلمة بن سعيد بن سلمة الأنصاري الإستجي،[2] المحدث الحافظ الراوية، المتوفى بإشبيلية عام 406هـ.

ومن المذهب الشافعي ينتقل ابن حزم إلى النزعة الظاهرية، ويوجد من بين أساتذته شيخ ظاهري المذهب، وهو:

18 – أبو الخيار: مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني القرطبي[3] العالم الأديب، المتوفى عام 426هـ.

---

(1) انظر جواب ابن حزم عن هذه التهمة في رسائله المشار لها سابقاً بتحقيق إحسان عباس: 82/3.

(2) سلمة بن سعيد بن سلمة، أبو العباس الأنصاري. سمع الآجري، والدارقطني، وجماعة. وسمع منه الناس. قال الخولاني: كان حافظاً للحديث يُمْلي من صدره، يشبه المتقدمين من المحدِّثين، وكانت روايته واسعة، وعنايته ظاهرة، ثقة فيما نقل وضبط، وحدث عنه أيضاً أبو عمرو المقرئ، وأبو حفص الزَّهْراوي، وأبو عمر بن عبد البر، وأبو إسحاق بن شنظير. وقال ابن بشكوال: كان فاضلاً ثقة فيما رواه، راويةً للعلم، حدث وسمع الناس منه كثيراً. توفي آخر سنة ستين وأربعمائة. [الصلة: 219. والثقات ممن لم يقع في الكتب الستة: 63/5].

(3) أبو الخيار الأندلسيّ الظَّاهريّ، واسمه مسعود بن سليمان بن مفلت الشَّنْتَرينيّ القُرْطُبيّ الأديب. [المتوفى: 426 هـ]. زاهد، خيّر، متواضع، كبير القدْر. كان لا يرى التقليد. وقد ذكره ابن حزْم، وأثنى عليه فقال في كتاب " إرشاد المسترشد ": لقد كان لأهل العلم وابتغاء الخير في الشيخ أبي الخيار معتمد قوي ومقصد كاف، نفعه الله بفضله وبعلمه وصَدْعه بالحقّ، ورفع بذلك درجته. [الصلة: 583. وجذوة المقتبس: 350. وبغية الملتمس: 467. وتاريخ الإسلام: 421/9].

وسوى هذا فمن المؤكد أن ابن حزم بعد خروجه من قرطبة اشتغل بدراسة المنطق، وكان أستاذه في هذه المادة هو:

19 – ابن الكتّاني: محمد بن الحسن المذحجي القرطبي،[1] الطبيب الفيلسوف الأديب، المتوفى قريباً من عام 420هـ.

وقد يؤيد أن ابن حزم لم يدرس المنطق خلال مرحلة التحصيل قوله في كتابه عن المنطق: " ... ولقد رأيت طوائف من الخاسرين –شاهدتهم أيام عنفوان طلبنا، وقبل تمكن قوانا من المعارف، وأول مداخلتنا صنوفاً من ذوي الآراء المختلفة– كانوا يقطعون – بظنونهم الفاسدة من غير يقين أنتجه بحث موثوق به– على أن الفلسفة وحدود المنطق منافية للشريعة".[2]

والآن نشير إلى أن ابن حزم تابع الرواية للحديث –بالخصوص– بعد رحيله عن قرطبة، وكان من شيوخه بالجهات التي انتقل إليها:

20 – ابن الجحاف: عبد الله بن عبد الرحمن المعافري البلنسي.[3] قاضيها، الفقيه المحدث، المتوفى عام 417هـ.

---

(1) ابن الكَتَّاني (000 – نحو 420 هـ = 000 – نحو1030 م). محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي، أبو عبد الله، المعروف بابن الكتاني: طبيب أندلسي، من أهل قرطبة. له علم بالنجوم والفلسفة ومشاركة في الأدب والشعر. خدم المنصور ابن أبي عامر وابنه المظفر. وانتقل في فتنة قرطبة إلى سرقسطة. وعاش بضعا وسبعين سنة. له رسائل وكتب، وصفها ابن الأبار بأنها (معروفة فائقة الجودة عظيمة المنفعة سليمة) منها كتاب (محمد وسُعدى) قال الضبيّ: مليح في معناه، و (كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس). [الأعلام للزركلي: 83/6. وتنظر ترجمته في: جذوة المقتبس: 49. وبغية الملتمس: 67. ومعجم الأدباء: 2522/6، والمغرب في حلى المغرب: 211/1، والمحمدون من الشعراء وأشعارهم: 210].

(2) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية: ص 115–116.

(3) عبد الله بن عبد الرحمن بن الجحاف المعافري القاضي، فقيه محدث من أهل بيت قضاء وعلم وجلالة، ومنازلهم ببلنسية من أعمال شرق الأندلس، ذكره أبو محمد علي بن أحد وروى عنه الحديث وقال: هو أفضل قاض رأيته ديناً وعقلاً وتصاوناً مع حظه الوافر من العلم، مات قريباً من الأربع مائة. [جذوة المقتبس: 262. وبغية الملتمس: 346].

وقد أسند –من جهته– في رسالته "طوق الحمامة".[1]

21 – الأطروش: حمام بن أحمد بن عبد الله القرطبي[2] المحدّث، المتوفى عام 421هـ.

ورغماً عن قرطبيته بيد وأن ابن حزم إنما أخذ عنه في هذه المرحلة، حيث أنه في فترة تحصيل ابن حزم كان يتقلد القضاء خارج قرطبة، أيام المظفر بن أبي عامر، وأخيه عبد الرحمن، وفي دولة المهدي والمستعين والمؤيد.

ومما روى عنه صحيح البخاري، ومصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أيمن، ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنف بقي بن مخلد.

22 – أبو عمر: أحمد بن إسماعيل بن دُليم الحضرمي القاضي الجزيري[3]. من جزيرة ميورقة، المتوفى قبل عام 440هـ.

روى عنه في المحلى.

23 – ابن فورتش: محمد بن إسماعيل العذري،[4] قاضي سرقسطة. الراوية. المتوفى عام 453هـ.

---

(1) طوق الحمامة: 272.

(2) حُمَام بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أكدرَ بن حُمام بن حَكَم، القاضي أبو بكر القرطبي. [المتوفى: 421 هـ]. قال ابن حزْم: كان واحد عصره في البلاغة، وفي سعة الرّواية، ضابِطًا لِمَا قيّده. روى عن أبي محمد الباجيّ، وأبي عبد الله بن مفرّج فأكثر، وكان شديد الانقباض. مَا أرى أحدًا سلِم من الفتنة سلامته مع طول مدّته فيها. وكان حَسَن الخطّ، قويًّا على النّسخ، ينسخُ في نهاره نيفا وعشرين ورقة. حسن الشعر، حسن الخُلُق، فَكِه المُحادثة، ولي قضاءَ يابُرَة، وشَنْتَرين، والأُشبونة. وتُوُفّي في رجب بقرْطبة، ووُلِد سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. روى عنه ابن حزم في تصانيفه. [تاريخ الإسلام: 363/9. وتنظر ترجمته في: الصلة: 153. والوافي بالوفيات: 96/13. وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية: 431/1].

(3) أحمد بن إسماعيل بن دليم أبو عمر القاضي الجزيري. سمع محمد بن أحمد بن الخلاص وغيره، سمع منه الحميدي، توفى قبل أربعين وأربعمائة. [جذوة المقتبس: 118. والصلة: 55. وبغية المقتبس: 170].

(4) محمد بن إسماعيل بن فورتش قاضي سرقسطة؛ يكنى: أبا عبد الله. له رحلة إلى المشرق حج فيها، وكتب الحديث عن عتيق بن إبراهيم القروي، وأبي عمران القابسي، وأبي عبد الملك البوني، وأبي عمرو السفاقسي، وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم. وكان ثقة في رواية، ضابطا لكتبه، فاضلا، دينا، عفيفا راوية للعلم، وتوفي رحمه الله في صدر

روى عنه مستدرك الحاكم.

24 – الباجي: البراء بن عبد الملك.[1] من باجة الأندلس فيما يظهر.

25 – يحيى بن خلف بن نصر الرعيني.[2]

ومن أقران ابن حزم الذين روى عنهم:

26 – ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي.[3] الفقيه المحدث الحافظ. المتوفى عام 463هـ.

روى عنه مصنف أبي جعفر محمد بن موسى الصيقل. ومسند البزار، وأسند عنه – مكاتبة–مؤلفه: بيان العلم وفضله. وقد يصفه بصاحبنا.

27 – ابن الدلائي: أحمد بن عمر بن أنس العذري المري.[4] المحدث. الثقة. المسند. المتوفى عام 478هـ.

ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وأربع مائة، ومولده سنة إحدى وثمانين ثلاث مائة. روى عنه ابنه أبو محمد وأبو الوليد الباجيز [الصلة: 508. وتاريخ الإسلام: 41/10. والثقات ممن لم يقع في الكتب الستة: 189/8].

(1) البراء بن عبد الملك الباجي، يكنى: أبا عمر. من أهل الأدب والفضل. روى عن ثابت الجرجاني. روى عنه أبو محمد بن حزم. ذكره الحميدي. ولم يذكروا تاريخ وفاته. [جذوة المقتبس: 181. والصلة: 121. وبغية الملتمس: 250].

(2) يحيى بن خلف بن نصر الرعيني، روى عنه أبو محمد علي بن أحمد، وذكر أنه كان صاحب صلاة صالحة من بلاد الأندلس. ولم يذكروا تاريخ وفاته. [جذوة المقتبس: 376. وبغية الملتمس: 501].

(3) ابن عَبْد البَر (368 – 463 هـ = 978 – 1071 م). يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة. يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة. ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة. له الكثير من المصنفات المشهورة، منها: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، وتجريد التمهيد لما في الموط من المعاني والاسانيد، وجامع بيان العلم وفضله، والاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار، وغيرها. [بغية الملتمس: 489. وترتيب المدارك: 127/8. والصلة: 640. ووفيات الأعيان: 66/7. وسير أعلام النبلاء: 153/18، وغيرها الكثير].

(4) أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري: المعروف بابن الدلائي الأندلسي الإمام الفقيه المحدث الراوية العالم الجليل القدر الشهير الذكر سمع من أبي ذر الهروي البخاري مرات وأبي العباس الرازي والقاضي يونس والمهلب بن أبي صفرة وأبي عمرو الصفاقسي وغيرهم، وعنه من لا يعد كثرة. مولده سنة 393 هـ وتوفي سنة 478 هـ. [شجرة النور الزكية: 179/1. وجذوة المقتبس: 136. والصلة: 69، وسير أعلام النبلاء: 567/18].

تبادل الرواية مع ابن حزم الذي يحليه بصـــاحبنه. وروى من طريقه: مصـــنف عبد الرزاق، والكامل لابن عدي، ومسـند عبد بن حميد، والتاريخ الأوسـط للبخاري، وموطأ ابن وهب، وسنن الدار قطني. والمستدرك للحاكم، وكتاب محمد بن أحمد بن الجهم.

28 – أبو المطرف: عبد الرحمن بن سلمة الكناني القرطبي المحدث.[1]

يحليه ابن حزم بصاحبه. ويروي عنه: مصنف بقي بن مخلد، ومسند حديث مالك بن أنس وغيره، تأليف أحمد بن خالد الجباني ثم القرطبي.

وقد روى ابن حزم بالمكاتبة وحدها عن:

29 – أبي الوليد: هشـام بن سـعيد الخير بن فتحون القيسـي الوشـقي،[2] المحدث، المتوفى بعد عام 430هـ.

روى عنه مسند أبي داود الطيالسي مكاتبة.

30 – ابن أبي صـفرة: المهلب بن أحمد بن أسـيد التميمي الأسـدي، المري،[3] العالم المتفنن، المتوفى عام 436هـ.

---

(1) عبد الرحمن بن سلمة الكناني: من أهل قرطبة، يكنى: أبا المطرف. روى عن أحمد بن خليل القاضي وغيره. حدث عنه القاضـي أبو عمر بن سـميق، وأبو محمد بن حزم. ولم يذكروا تاريخ وفاته. [بغية الملتمس: 364. والصـلة: 307. وجذوة المقتبس: 273].

(2) هشام بن سعيد الخير بن فَتْحون، أبو الوليد القَيْسيّ الوَشْقيّ. [الوفاة: 431 – 440 هـــ]. سمع من القاضي خَلَف بن عيســى، وهو في هذه الطّبقة. ثمّ إنّ هشــامًا حجّ وأخذ عن أبي العبّاس عليّ بن منير، وأبي عمران الفاســيّ، والحسن بن أحمد بن فِراس. حدَّث عنه الحُمَيْديّ، وقال: محدِّث جليل، جميل الطّريقة، تُوُفّي بعد الثلاثين وأربعمائة. وحدّثَ عنه أيضًا: أبو عمر بن عبد البر، والقاضي أبو زيد الحشاء. [جذوة المقتبس: 364. والصلة: 615. وبغية الملتمس: 485. وتاريخ الإسلام: 604/9].

(3) المهلّب بن ابي صفرة. (… – 435 هـ) (1) (… – 1044 م) المهلب بن احمد بن اسيد الاسدي، التميمي (ابو القاسم بن ابي صفرة) فقيه محدث، من أهل المرية. سمع بقرطبة من ابي محمد الاصيلي، ورحل الى الشرق وروى عن ابي ذر الهروي وعلي بن فهد وعلي بن محمد القزويني وغيرهم. من آثاره: شــرح الجامع الصــحيح للبخاري. [معجم المؤلفين: 31/13، وجذوة المقتبس: 352. وترتيب المدارك: 35/8. وبغية الملتمس: 471. وجمهرة تراجم الفقهاء المالكيين: 1276/3].

يروي عنه –مكاتبة– موطأ ابن وهب.

31 – أبو المرجي: الحسين بن عبد الله بن ذروان المصري.[1]

يروي من طريقه –مكاتبة– مسند أحمد بن حنبل.

32 – أبو سليمان: داود بن باب شاذ بن داود المصري.[2]

يروي عنه –مكاتبة– معاني الآثار للطحاوي.

ومن الغرباء الذين يروي عنهم ابن حزم خلال زياراتهم للأندلس:

33 – محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الوارث الرازي الخراساني،[3] المتوفى –بالأندلس– بعد عام 450هـ.

روى عنه في المحلى.

34 – إبراهيم بن قاسم الأطرابلسي: طرابلس الغرب.[4]

35 – أبو المجد: الفرات بن هبة الله.[5]

---

(1) روى عنه في المحلى: في كتاب المحاربين.

(2) روى عنه في المحلى في كتاب الصلاة والاعتكاف.

(3) أبو بكر الرازيّ الأندلسيّ [– بعد 450] محمّد بن الحسن بن عبد الرحمن بن [عبد] الوارث، أبو بكر، الأزديّ، الرازيّ، لخراساني. سمع بأصبهان من أبي نعيم الحافظ، وبمصر من أبي محمّد عبد الرحمن بن عمر [ابن] النحّاس. وسمع ببيت المقدس. ودخل الأندلس فسمع بها. وكان رجلا صالحا ديّنا ليّنا هيّنا متواضعا حسن الخلق. حدّث عنه أبو عمر ابن عبد البرّ، وأبو الوليد الباجيّ، وأبو محمّد ابن حزم. ومات هناك غرقا بعد الخمسين وأربعمائة. [المقفى الكبير للمقريزي: 294/5، وجذوة المقتبس: 50. والصلة: 569. وتاريخ الإسلام: 132/10].

(4) إبراهيم بن قاسم الأطرابلسي: من المغرب دخل الأندلس وحدث بها روى عنه أبو محمد بن أحمد بن حزم. وقد أخذ عنه القاضي يونس بن عبد الله واسند عنه قصة في التسبيب عن ابن ما شاء الله القابسي العابد. ولم يذكروا تاريخ وفاته. [جذوة المقتبس: 156. والصلة: 101. وبغية الملتمس 224].

(5) أبو المجد: الفرات بن هبة الله: روى عن أبي سعيد الخليل ابن أحمد البستي الفقيه، قال الحميدي: "أنشدني أبو محمد علي بن أحمد قال: أنشدني أبو المجد الفرات بن هبة الله قال: أنشدني أبو سعيد الخليل بن أحمد البستي الشافعي" ثم ذكر شعرا. ولم يذكروا تاريخ وفاته. [جذوة المقتبس: 328. وبغية الملتمس: 445].

36 – أبو البركات: محمد بن عبد الواحد بن محمد الزبيري المكّي.[1]

37 – علي بن سعيد العبدري، أبو الحسن. وسيُذكر ضمن تلامذته.

أسانيد ابن حزم إلى الكتب والمصنفات:

يقول الإمام الذهبي: "وَأَجْوَد مَا عِنْدَهُ مِنَ الكُتُب سُـنَن النَّسَـائِيّ يَحمله عَنِ ابْنِ رَبيع، عَنِ ابْنِ الأَحْمَر، عَنْهُ.

وَأَنْزَل مَا عِنْدَهُ صَـحِيْحُ مُسْلِم، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ خَمْسَـةُ رِجَال، وَأَعْلَى مَا رَأَيْتُ لَهُ حَدِيْثٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَكِيْع فِي ثَلَاثَةُ أَنْفُس".[2]

وقد جمع ابن الخليل هذه الأسانيد في مبحث خاص في مقدمة التكملة.[3]

(1) محمد بْن عَبْد الواحد بْن عَبْد الله بن محمد بن مصـعب الزبيري، أبو البركات المكي. [المتوفى: 434 هـــ] دخل العراق والشـــام ومصـــر والأندلس، وحدَّث عن جماعة. وحدَّث عنه: أبو محمد بن حزم، والدلائي، وأبو محمد بن خزرج، وقال: كان ثقة متحريا فيما ينقله. لقِيته بإشـبيليّة في سـنة أربعٍ وثلاثين وأخبرني أنّ مولده في سـنة سـبع وأربعين وثلاثمائة، وكان مُمتّعًا، يعني بحواســـه. [جذوة المقتبس: 70. والصـــلة: 563. وبغية الملتمس: 106. وتاريخ الإسلام: 544/9].

(2) سير أعلام النبلاء: 185/18.

(3) المحلّى – القدح المعلّى: 15/17. نقلاً عن مقدمة الأستاذ خالد الربّاط للمحلى: 37/1.

المبحث الثالث:

تلاميذه

يصعب حصر ومعرفة جميع تلامذة الإمام أبي محمد ابن حزم خلال المدة الطويلة التي قضاها في سبيل العلم والحرص على نشره بين الناس، لكن يمكن ذكر أهم تلامذته، وهم:

1 – محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي.[1]

2 – الفضل بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أبو رافع.[2] وهو والحميدي أكثر من روى عنه.

3 – الإمام الوزير أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي.[3] وقد قرأ عليه أكثر مصنفاته، قال: "صحبت ابن حزم سبعة أعوام وسمعت منه جميع مصنفاته سوى المجلد الأخير من كتاب الفصل وهو من ستة مجلدات، وقرأنا عليه من كتاب

---

(1) الحافِظ الحَمِيدي (420 – 488 هـ = 1029 – 1095 م) الْحَافِظ الثبت الإِمَام الْقدْوَة أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله ابْن فتوح بن حميد الْأَزْدِيّ الأندلسي الميورقي الظَّاهِرِيّ. من كبار تلامذة ابْن حزم. سمع بالأندلس ومصر وَالشَّام وَالْعراق والحجاز وَسكن بَغْدَاد. ولد قبل عشْرين وَأَرْبَعمِائَة وتفقه بِأبي مُحَمَّد بن أبي زيد. وصنف تَارِيخ الأندلس وَالْجمع بَين الصَّحِيحَيْنِ. وَكَانَ من أَفْرَاد عصره فِي غزارة الْعلم وَالْفضل والنبل حَافِظًا ورعاً ثبتاً إِمَامًا فِي الحَدِيث وَالْفِقْه وَالْأَدب والعربية والترسل. توفي سنة أربعمائة وثمانية وثمانين للهجرة. [طبقات الحفاظ للسيوطي: 477، وانظر: الصلة: 530. وبغية الملتمس: 123. وسير أعلام النبلاء: 120/19. وغيرها].

(2) الفضل ابن العلّامة أبي محمد عليّ بن أَحْمَد بن سعيد بن حَزْم، أبو رافع القُرْطُبيّ. [المتوفى: 479 هـ]. روى عن أبيه، وابن عبد البَرّ، وكتب بخطه علما كثيرا. وكان ذا أدبٍ ونباهة، وذكاء. توفّي بوقعة الزلاقة شهيدا، وكان مع مخدومه المعتمد. [تاريخ الإسلام: 445/10. والوافي بالوفيات: 41/24. والثقات ممن لم يقع في الكتب الستة: 521/7].

(3) ابن العربي أبو محمد عبد الله بن محمد الإشبيلي. الإمام، العلامة، الأديب، ذو الفنون، أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي الإشبيلي، والد القاضي أبي بكر. صحب ابن حزم، وأكثر عنه، ثم ارتحل بولده أبي بكر، فسمعا من طراد الزينبي، وعدة، وكان ذا بلاغة ولسن وإنشاء مات: بمصر، في أول سنة ثلاث وتسعين وأربع مائة، في عشر التسعين، فإن مولده كان في سنة خمس وثلاثين وأربع مائة، ورجع ابنه إلى الأندلس. [تاريخ الإسلام: 740/10. وسير أعلام النبلاء: 130/19].

الإيصال أربعة مجلدات في سنة ست وخمسين وأربعمائة وهو أربعة وعشرون مجلدًا ولي منه إجازة غير مرة".[1]

4 – علي بن سعيد العبدري.[2] وكلاهما أخذ عن الآخر، فيمكن تعداده ضمن شيوخ ابن حزم أيضاً، فقد سمع من ابن حزم حين حلَّ ابن حزم جزيرة ميورقة. واتبع – العبدري – المذهب الظاهري، ولما رحل إلى المشرق وحج تركه واعتنق المذهب الشافعي.

5 – القاضي صاعد: بن أحمد بن عبد الرحمن التغلبي أبو القاسم. قاضي طليطلة.[3]

6 – الطّرطوشي: محمد بن الوليد الفهري.[4]

---

(1) تذكرة الحفاظ: 230/3. وسير أعلام النبلاء: 199/18. وتاريخ الإسلام: 74/10. وتاريخ دمشق: 232/32؛ المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)؛ المحقق: عمرو بن غرامة العمروي؛ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع؛ عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م].

(2) عَليّ بن سعيد بن عبد الرَّحْمَن بن مُحرز بن أبي عُثْمَان الْمَعْرُوف بِأبي الْحسن الْعَبدَرِي. (... –493 هـ) (... – 1100 م). من بنى عبد الدَّار وَمن أهل ميورقة من بِلَاد الأندلس. كَانَ رجلا عَالما مفتيا عَارِفًا باخْتلَاف الْعلمَاء. أَخذ عَن أبي مُحَمَّد بن حزم الظَّاهِرِيّ وَأخذ عَنهُ ابْن حزم أَيْضا ثمَّ جَاءَ إِلَى الْمشرق وَحج وَدخل بَغْدَاد وَترك مَذْهَب ابْن حزم وتفقه للشَّافِعِيّ على أبي إِسْحَاق الشِّيرَازِيّ وَبعده على أبي بكر الشَّاشِي وَسمع الحَدِيث من القَاضِي أبي الطّيب الطَّبَرِيّ وَالْقَاضِي أبي الْحسن الْمَاوَرْدِيّ وَأبي مُحَمَّد الْحسن بن عَليّ الْجَوْهَرِي وَغَيرهم وَحدث باليسير. توفّي بِبَغْدَاد يَوْم السبت سادس عشر جُمَادَى الْآخِرَة سنة ثَلَاث وَتِسْعين وَأَرْبَعمِائَة. [طبقات الشافعية الكبرى: 258/5. وانظر الصلة: 401. وتاريخ الإسلام: 743/10. وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 270/1، ومعجم المؤلفين: 100/7].

(3) صاعِد الأَنْدَلُسي (420 – 462 هـ = 1029 – 1070 م). صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي: قاضي طليطلة، يكنى: أبا القاسم وأصله من قرطبة. روى عن أبي محمد بن حزم، والفتح بن القاسم، وأبي الوليد الوقشي وغيرهم. واستقضاه المأمون يحيى بن ذي النون بطليطلة، وكان متحريا في أموره، واختار القضاء باليمين مع الشاهد الواحد في الحقوق، وبالشهادة على الخط، وقضى بذلك أيام نظره. وكان: من أهل المعرفة والذكاء، والرواية، والدراية، ولد بالمرية في سنة عشرين وأربعمائة. وتوفي بطليطلة وهو قاضيها في شوال سنة اثنتين وستين وأربع مئة. وصلى عليه يحيى بن سعيد بن الحديدي. [الصلة: 232. ومعجم الأدباء: 2857/6. والأعلام للزركلي: 186/3. ومعجم المؤلفين: 317/4].

(4) محمد الطّرطوشي (451 – 520 هـ) (1059 – 1126 م) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن ايوب الفهري، المالكي، المعروف بالطرطوشي، ويعرف بابن أبي رندقة (ابو بكر) فقيه، اصولي، محدث، مفسر. ولد سنة 451 هـ تقريبا، ونشأ في طرطوشة بالاندلس، ورحل الى المشرق فدخل بغداد والبصرة، وسكن الشام، ونزل بيت المقدس، وأخذ عن جماعة، وتوفي في الاسكندرية في جمادى الأولى. من تصانيفه: سراج الملوك، الدعاء،

7 – عبد الباقي بن محمد بن سعيد بن بُريال الأنصاري.[1]

8 – ابنه أبو أسامة يعقوب بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم.[2]

9 – وابنه الآخر أبو سليمان المصعب بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم.[3]

10 – شريح بن محمد أبو الحسن الرعيني الإشبيلي.[4] وهو آخر من روى عن ابن حزم بالإجازة.[5]

الحوادث والبدع، مختصر تفسير الثعالبي، وشرح رسالة ابن أبي زيد. [معجم المؤلفين: 96/12. والصلة: 545. وبغية الملتمس: 135. ووفيات الأعيان: 262/4. وسير أعلام النبلاء: 490/19. وتاريخ الإسلام: 325/11].

(1) عَبْد الباقي بن محمد بن سعيد بن أصبغ، أبو بكر الأنصاري، الحجاري، الأندلسيّ، ويُعرف بابن بُريال. [المتوفى: 502 هـ]. روى عَنْ: المنذر بن المنذر، وهشام بن أحمد الكناني، وأبي عمر الطَّلَمَنْكيّ، والقاسم بْن فتح، وكان نبيلًا، حافظًا، ذكيًا، شاعرًا، محسنًا. قال ابن بشكوال: أَخْبَرَنَا عَنْهُ غير واحد من شيوخنا، وتُوُفّي في شَعْبان ببَلَنْسِية، وكان مولده سنة ست عشرة وأربعمائة. أخذ عنه ابن العريف والزاهد، وله سماع أيضًا مِن أَبِي عُمَر بْن عبد البر، عرض عليه القرآن وهو ابن عشرة أعوام. [الصلة: 366. وتاريخ الإسلام: 35/11. والثقات ممن لم يقع في الكتب الستة: 176/6].

(2) شذرات الذهب: 37/1.

(3) المرجع السابق.

(4) شريح بن محمد أبو الحسن الرعيني الإشبيلي. مقرئ إشبيلية وخطيبها محدث أديب مشهور يروى عن أبيه محمد وأبي عبد الله بن منظور، وأبي محمد بن حزم، وأبي محمد بن خزرج، وأبي محمد الباجي وأبي مروان بن سراج وغيرهم، روى عنه جماعة، وتوفى بإشبيلية في جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة [ومولده بإشبيلية] لخمس بقين من ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وأربعمائة. تنظر ترجمته في: [بغية الملتمس: 318. والصلة: 229. وسير أعلام النبلاء: 142/20. ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي: 273].

(5) تذكرة الحفاظ للذهبي: 227/3. وطبقات الحفاظ للسيوطي: 435.

ويرى د. الحمد أن الذي أجازه ابنُ حزم هو والد الرعيني وهو محمد بن شريح بن أحمد الرعيني أبو عبد الله الإشبيلي المتوفى سنة 476 هـ. ويستدل على ذلك بأن شريحا ولد سنة 451 هـ. ووفاة ابن حزم سنة 456 هـ فسنه عند وفاة ابن حزم خمس سنوات، فلا يمكن أن يأخذ عنه في هذه السن وانظر: ابن حزم وموقفه من الإلهيات (ص 67) هامش رقم 4. قلت: لا يمتنع أَخْذُ شريح عن ابن حزم لأن مَنْ ذكر ذلك مِنْ أهل التثبت والاستقراء، وحسبك بالذهبي وابن حجر، ثم إن هؤلاء الذين ذكروا أَخْذَ الرعيني عن ابن حزم قالوا إن ذلك كان إجازة، ومعلوم أن أهل الحديث يتساهلون في الإجازة حتى للصبي الصغير، وبعضهم جَوَّزَ الإجازة لمن لم يولد، فكيف لصبي ابن خمس سنين؟ والله أعلم. [مقدمة كتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس: 113/1-114].

المبحث الرابع: المناصب التي تولاها

مر معنا أن أبا عمر أحمد بن ســـعيد بن حزم والد الإمام أبي محمد ابن حزم أحد العلماء، ومن كبراء أهل قرطبة، وأنه عمل بالوزارة في الدولة العامرية فكان من وزراء المنصـــور محمد بن أبي عامر، ووزراء ابنه المظفر بعده، ومن المدبرين لدولتيهما، حتى حصلت الفتنة سنة 398هـ ثم مات سنة 402هـ.

أما ابنه الفقيه أبو محمد فكان وزيراً بادئ الأمر لعبد الرحمن المُرتضــى، أو من كبراء المستشارين، وفي قرطبة تولى ابن حزم وزارته المشهورة لصديقه عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصــر الخامس أبي المطرف المســتظهر بالله الذي بويع له بالخلافة بقرطبة في رمضــان ســنة 414هـــــ بعد ذهاب دولة بني حمود وانقراضــها من قرطبة.

وبعد ذلك بعدة ســنوات عاد ابن حزم إلى الوزارة أيام هشــام بن المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الذي تولى بين سنتي 418هـ – 422هـ.

وإن هذا كان آخر عهد ابن حزم بالســياســة والوزارة، فلم يُعلم أنه كان وزيراً لأحدٍ من بعد ذلك، ثم إن المعتدَّ بالله الذي كان آخر من تولى ابن حزم الوزارة له كان آخر خلفاء بني أُمية، فلم يجتمع لهم أمرٌ بعدَه.[1]

ومع ذلك فلم تستطع هذه الفترات الوجيزة أن تعطينا صورة عن مدى أسلوب ابن حزم في الوزارة، كما أن الظروف الســياســية العامة، واشــتراك غيره معه في الوزارة –لم يمكناه– فيما نعتقد– من أن يبرز شــخصــيته وكفايته، أو يحقق طموحه الســياســي، ويوطد لأســرته في الوزارة أو لبني أمية في الحكم.[2]

لقد كان ابن حزم يوالي الأمويين وقد كان يقبل الوزارة ليشــد من أزرهم، ويعاونهم في أمرهم، ويعرض نفسه في سبيل ذلك النفي والأسر والسجن، فلما انتهى أمرهم ولم يعد ثمة

---

(1) ابن حزم لأبي زهرة: 37.

(2) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 63.

سـبيل لعودتهم، انقطع عن السـياسـة، ولم يعد يخب فيها ويضـع، وانصـرف من بعد ذلك للدراسـة والبحث والكتابة ونشـر آرائه بالمناظرة أحياناً، وبالقلم إن واتته الفرصـة، وبالرسـائل يسطرها وبالكتب المبسطة الوجيزة يكتبها.[1]

(1) ابن حزم لأبي زهرة: 37.

المبحث الخامس:

النكبات والمحن التي واجهته

أولاً: النكبات العائلية

لما بدأ عصـر الفتنة، وتولى محمد المهدي الخلافة مبتدئاً عصـر الطوائف النكد، ثم تولى هشـــام المؤيد الذي انهال على بيت ابن حزم بالنكبات والاعتداء والاعتقال والتغريب والإغرام الفادح، ثم أضـــيف إلى هذه النوازل المجتمعة أولى كوارث ابن حزم العائلية وهي وفاة أخيه أبي بكر الذي لم نعرف له أخاً غيره في الطاعون الواقع بقرطبة في شـــهر ذي القعدة سنة إحدى وأربعمائة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة.(1)

وفي الســـنة التي تليها كانت النكبة العائلية الثانية والتي كانت قاصـــمة الظهر وهي وفاة والده الوزير أحمد بن ســـعيد بن حزم بتأثير النكبات التي حلت به وببيته، وذلك في ذي القعدة سنة 402هـ.

يقول عن ذلك: "ثم انتقل أبي رحمه الله من دورنا المحدثة بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة إلى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة.

وانتقلت أنا بانتقاله، وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلثمائة، ولم تنتقل هي بانتقالنا لأمور أوجبت ذلك.

ثم شـــغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشـــام المؤيد بالنكبات وباعتداء أرباب دولته، وامتحنا بالاعتقال والترقيب والإغرام الفادح والاســـتتار، وأرزمت الفتنة وألقت باعها وعمت الناس وخصتنا، إلى أن توفي أبي الوزير رحمه الله ونحن في هذه الأحوال بعد العصر يوم

(1) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 56، وانظر: طوق الحمام: 259.

السـبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنتين وأربعمائة، واتصـلت بنا تلك الحال بعده..."[1].

وفي السنة التي تلت موت والده فُجع بموت زوجته الأولى فيما يظهر والتي يقول عن هذه النكبة: "..وعني أخبرك أني أحد من دهي بهذه الفادحة وتعجلت له هذه المصـيبة، وذلك أني كنت أشد الناس كلفاً وأعظمهم حباً بجارية لي، كانت فيما خلا اسمها "نعم".

وكانت أمنية المتمني وغاية الحسن خلقاً وخلقاً وموافقة لي، وكنت أبا عذرها، وكنا قد تكافأنا المودة، ففجعتني بها الأقدار، واخترمتها الليالي ومر النهار، وصـارت ثالثة التراب والاحجار، وسني حين وفاتها دون العشرين سنة، وكانت هي دوني في السن، فلقد أقمت بعدها سبعة أشهر لا أتجرد عن ثيابي ولا تفتر لي دمعة على جمود عيني وقلة إسعادها؛ وعلى ذلك فو الله ما سـلوت حتى الآن، ولو قبل فداء لفديتها بكل ما أملك من تالد وطارف، وببعض أعضاء جسمي العزيزة علي مسارعا طائعاً، وما طاب لي عيش بعدها، ولا نسيت ذكرها، ولا أنسـت بسـواها، ولقد عفى حبي لها على كل ما قبله، وحرم ما كان بعده..."[2].

وتوالت النكبات فتغلب جند البربر على قرطبة، وأجلي هو وأسـرته عن منازلهم فخرجوا إلى المرية أول المحرم سنة 404هـ، فكان يتهادى النظم والنثر مع أصدقائه، [3] وكان ذلك في عهد حاكم "المرية" خيران العامري، الذي انقلب بعدها على ابن حزم فاعتقله وصاحبه محمد بن إسحاق بضعة أشهر، وكان السبب كما قال ابن حزم: " إذ نقل إليه من لم يتق الله عز وجل من الباغين، وقد انتقم الله منهم، عني وعن محمد ابن إسـحاق صـاحبي أنا نسـعى في القيام بدعوة الدولة الأموية، فاعتقلنا عند نفسـه أشـهراً ثم أخرجنا على جهة التغريب فصرنا إلى حصن القصر، ولقينا صاحبه أبو القاسم عبد الله بن هذيل

(1) طوق الحمامة: 251-252.

(2) طوق الحمامة: 223-224.

(3) طوق الحمامة: 252، و260-261.

التجيبي المعروف بان المقفل، فأقمنا عنده شـــهوراً في خير دار إقامة، وبين خير أهل وجيران، وعند أجل الناس همة وأكملهم معروفاً وأتمهم سيادة.[1]

ثم ركبنا البحر قاصدين بلنسية عند ظهور أمير المؤمنين المرتضى عبد الرحمن بن محمد، وساكناه بها.[2]

وقد أمضى ابن حزم عامين في بلنسية قبل أن يخرج منها عائداً إلى قرطبة في شوال سنة 409هـــ، بعد أن استقرت الأمور لبني حمود، وكان دخوله إليها في عهد القاسم بن حمود المأمون.[3]

كانت هذه هي المرحلة الأولى من حياة ابن حزم، وهي مرحلة تمتد خمسة وعشرين عاماً مختلفة الأطوار، ذاق فيها ابن حزم حلو الحياة ومرها. وبدأت حياته في قصـــر أبيه تتلاشـــى أمام المحن المتتالية، وبدأ بعد هذه الفترة يدخل من موقع الشـــعور بالمســـئولية معركة الصراع السياسي والفكري الذي يجتاح الأندلس في أسوأ عصور محنتها.[4]

ثانياً: النكبات السياسية:

كانت النكبة السياسية الأولى لما إليه نمي إليه ظهور أمير المؤمنين المرتضى عبد الرحمن بن محمد وإعلانه الحكم ببلنسية، سَارَ إليه ووزر لديه،[5] وسار في جيشه الذي أراد الاســـتيلاء على غرناطة، ولكن عبد الرحمن اغتيل قبل أن يتم له ما يريد هو ومَن معه، وحينئذ يصيب ابن حزم ما يصيب كل مهزوم وقع في يد أعدائه، فقد أُسر، واستمر في الأسر مدة، ثم فك أساره، وعاد إلى قرطبة ليرى أطلالها، وكان ذلك سنة 409هـ بعد

---

(1) طوق الحمامة: 261-262.

(2) طوق الحمامة: 262.

(3) طوق الحمامة: 263.

(4) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 58، بتصرف.

(5) يرى العلَّامة سعيد الأفغاني في "ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابة" (ص 25) هذا الرأي ويذهب د. عبد الحليم عويس إلى أن ابن حزم كان مستشارا كبيرا عند المرتضى ولم يبلغ مرتبة الوزارة وانظر: ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ص 62.

أن غاب عنها نحو ست سنين،[1] وقد قال في كتابه طوق الحمامة: "... فخرجت عن قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربعمائة، وغابت عن بصري بعد تلك الرؤية الواحدة ستة أعوام وأكثر، ثم دخلت قرطبة في شوال سنة تسع وأربعمائة".[2]

أما النكبة السياسية الثانية فلما ضعف أمر بني حمود ثار أهل قرطبة عليهم، واتفقوا على رد الأمر إلى بني أمية، واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار، وبايعوه في رمضان سنة 414هـ ولقبوه بالمستظهر، فكان ابن حزم وزيراً لذلك الخليفة الشاب، فثار على المستظهر ابن عمه المستكفي في طائفة من أراذل العوام، فقتله لثلاث بقين من ذي القعدة من السنة نفسها، ولم تدم وزارة ابن حزم أكثر من سبعة وأربعين يوماً، انتهى بعدها إلى غيابات السجن، ولم يذكر التاريخ متى أفرج عنه، ويظهر أنه أفرج عنه من قريب ولم يستمر طويلاً.[3]

ثالثاً: تألب الفقهاء والأمراء عليه وإحراق كتبه:

وجد ابن حزم حين حل في ميورقة أتباعاً كثيرين، حتى أنها رأس فيها وسيطر بفكره. ويظهر أن الذي مكن له في ذلك أنه كان له صاحب اسمه أحمد بن رشيق وكانت لهذا ولايتها. وقد توفي ابن رشيق سنة 440هـ. ويظهر أنه بعد موته قد ضعف أمر ابن حزم، وتظاهر عليه الفقهاء، واستعانوا بأبي الوليد الباجي الذي عاد من الشرق في هذا العام، فناقش ابن حزم وانتصر عليه كما يقول المؤرخون.[4]

قال العلامة محمد أبو زهرة: وعندي أنه ما كان الانتصار بالحجة والبرهان، بل بقوة السلطان، فما أفلج عليه بحجة، ولكن ذهب الناصر، فتظاهر الفقهاء عليه، وألبوا عليه

---

(1) ابن حزم لأبي زهرة: 35-36.

(2) طوق الحمامة: 252.

(3) ابن حزم لأبي زهرة: 36. وابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 62، نقلاً عن ابن الأبار: الحلة السيراء: 12/2-13، وبلانثيا: تاريخ الفكر الأندلسي: 214.

(4) ابن حزم، لأبي زهرة: 41. وانظر: تاريخ الإسلام: 134/10. والتكملة لكتاب الصلة: 316/1. وطبقات المفسرين للداوودي: 211/1.

الســلطان، وخرج من ميورقة لا مغلوباً في حجاج، ولكن قد فقد النصــير المؤيد، ولم يعد الانتصار للحجة، بل صار الانتصار لمن هو أكثر عدداً وأعز نفراً.[1]

ولقد كان الذي يأخذه الفقهاء عليه أنه يخالف المذهب المالكي، وشـــن عليه الغارة، ويضـر بأقوال المالكية في الرأي عرض الحائط، لأنه يعتمد على النصـوص، ويحسـب في زعمه أنها كل شيء.[2]

وبعد حلول الإمام الباجي جزيرة ميورقة ومناصـرة أميرها بعد ابن رشـيق للفقهاء الذين تألبوا عليه، خرج ابن حزم منها، ناشـــراً علمه في كل مكان ينزل إليه مبيناً ما يعتقده دون مواراة ولا مداراة.

ثم قام المعتضد ابن عباد أمير إشبيلية بإنزال أشد عقوبة نفسية تنزل بالعالم العظيم، وذلك بإحراق كتبه، ولكن الذي خففها أن ابن حزم مرســـته التجارب، وعرك الدهر حلوه ومره، وشـرب من الكأسـين، وأحس بأنه في مسـتوى لا تناله الآلام، مهما تكن حدتها، ولا صنوف الأذى مهما تكن قسوتها.[3]

وقد ندد ابن حزم بهذا الإحراق وفاعليه في شعر لاذع فقال:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضـمنه القرطاس بل هو في صـدري

يســـير معي حيث اســـتقلت ركائبي وينـزل إن أنـزل ويـدفن فـي قـبري

دعـونـي مـن إحـراق رق وكـاغـد وقولوا بعلم كي يرى النـاس من يـدري

وإلا فـعـودوا فـي الـمـكـاتـب بـدأةً فكم دون مـا تبغون لله من ســـتر[4]

(1) ابن حزم، لمحمد أبو زهرة: 41.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق ص42 بتصرف.

(4) الذخيرة في محاســن أهل الجزيرة: 171/1. ومعجم الأدباء: 1657/4. وســير أعلام النبلاء: 205/18. والوافي بالوفيات: 96/20. ونفح الطيب: 82/2. مع اختلاف في ترتيب الأبيات وعددها.

وكأن ابن حزم يخبر في هذه الأبيات أن احراق كتبه وتألبهم عليه ليس نتيجة جهله وانهزامه أما مناظره، فهو يتحدث بلسان الواثق من نفسه وعلمه، وهو ما يجعلنا نذهب مذهب أبي زهرة في أن الهزيمة كانت نتيجة ثورة العامة وتأييد صغار الفقهاء ومعاونة السلطان.

وقد قال ابن حيان في حال ابن حزم بعد أن صار هدف الفقهاء بالأذى: "...وكان يحمل علمه هذا، ويجادل عنه من خالفه على استرسال في طباعه، ومذل بأسراره، واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء: ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ فلم يك يلطف صدعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج، بل يصك به من عارضه صك الجندل، وينشقه إنشاق الخردل، فتنفر عنه القلوب، وتوقع به الندوب، حتى استهدف لفقهاء وقته، فتمالؤوا عليه، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم، ويسيرونه عن بلادهم إلى أن انتهوا به منقطع أثره: بلدة من بادية لبلة.

وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع، يبث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده، من عامة المقتبسين من أصاغر الطلبة، الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدثهم، ويفقههم، ويدارسهم، حتى كمل من مصنفاته وقر بعير، لم يعد أكثرها باديته لزهد الفقهاء فيها، حتى لأحرق بعضها بإشبيلية، ومزقت علانية...".[1]

فقد نال ابن حزم من العامة وصغار الفقهاء الذي ناصروا الإمام الباجي كل الأذى، وعاش مطارداً، قلقاً، بسببهم. كما أن النظرات القائمة التي تناثرت في كتابات ابن حزم، وبخاصة في رسالته عن الأخلاق والسير "مداواة النفوس" إنما كان مبعثها هذا الصنف الذي لم يرع للعلم حرمة، ولم يحترم حرية الفكر، وسفل إلى مستوى الكيد والدس وتسليط الكبار والعامة، وضيق دين الله الواسع.[2]

---

(1) سير أعلام النبلاء: 201/18. والذخيرة: 168/1. والإحاطة في أخبار غرناطة: 91/4. ومعجم الأدباء: 1655/4.

(2) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 69. بتصرف.

المبحث السادس:

رحلاته

كانت أكثر رحلات ابن حزم سياسية اضطرارية مصحوبة بالألم والتوجع والحسرة، قال ابن حزم معبراً عن ذلك:

ولي فولى جميل الصـــبر يتبعه وصـرح الدمع ما تخفيه أضـلعه

جســـم ملول وقلـب آلف فـإذا حـل الفراق عليـه فهو موجعـه

لم يســـتقر بـه دار ولا وطن ولا تـدفـأ منـه قط مضـــجعـه

كأنما صيغ من رهو السحاب فما تزال ريح إلى الآفـاق تـدفعـه

كـأنمـا هو توحيـد تضـــيق بـه نفس الكفور فتـأبى حين تودعـه

أو كوكب قاطع في الأفق منتقل فـالســـير يغربـه حينـاً ويطلعـه

أظنـه لو جزتـه أو تســـاعـده ألقت عليه انهمال الدمع يتبعه[1]

لم يخرج ابن حزم لطلب العلم في المشرق على عادة أهل الأندلس الذين كانوا يجلون العالم الذي يزور المشرق لا سيما بغداد، حيث كانت قبلة العلوم، وكعبة الفكر الإسلامي، فمن زارها وأخذ عن علمائها سما قدره، وأعترف بكفايته.

فلم يكن يرغب في مفارقة قرطبة إلا لزيارة المشرق الإسلامي وخاصة بغداد، فيقول معبراً عن شوقه، ومنوهاً بمكانته إن وصل إلى دار الخلافة بغداد:

أنـا الشـــمس في جو العلوم منيرة ولـكـن عـيـبـي أن مـطـلـعـي الـغـربُ

ولو أنني من جانب الشـــرق طالع لجد على ما ضـــاع من ذكري النهبُ

(1) طوق الحمامة: 210-211.

ولى نحو أكناف العراق صـــبابة ولا غرو أن يستوحش الكلف الصبُّ[1]

فـإن ينزل الرحمن رحلي بينهم فحينئـذ يبـدو التـأســف والكربُ

فكم قـائـل أغفلتـه وهو حـاضـــر وأطلـب مـا عنـه تجئ بـه الكُتْـبُ

هنـالـك يُـدرى أن للبعـد قصـــة وأن كســـاد العلم آفتـه القُرْبُ[2]

خرج ابن حزم –في أول حياته– من مسقط رأسه مدينة قرطبة مضطراً كارهاً وذلك عندما وقعت الفتنة، واضـــطرب أمر الناس، وَتَفَلَّتَ الأمنُ، واســـتولى جند البربر على الديار، يقول في ذلك: "ووقع انتهاب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة ونزولهم فيها ... وتقلبت بي الأمور إلى الخروج من قرطبة، وسكنى مدينة ألمرية".[3]

ويحدد ابنُ حزم تاريخَ هذا الخروج من قرطبة فيقول: " ... فخرجت عن قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربعمائة، وغابت عن بصري بعد تلك الرؤية الواحدة ستة أعوام وأكثر ... ".[4]

وأقام ابنُ حزم في المرية ثلاث ســـنوات، اعتقله فيها "خيران" حاكم المدينة بضـــعة أشهر. يقول في ذلك: "ثم أخرجنا على جهة التغريب، فصرنا إلى حصن القصر، ولقينا صاحبه أبو القاسم عبد الله ابن هذيل التجيبي المعروف بابن المقفل، فأقمنا عنده شهوراً

---

(1) الأكناف: النواحي، والجوانب. الصبابة: رقة الشوق وحرارته. الكلف: المولع. الصب: العاشق المشتاق.

(2) جذوة المقتبس: 310. والذخيرة في محاســن أهل الجزيرة: 173/1. ومعجم الأدباء: 1658/4. والمعجب في تلخيص أخبار أهل المغرب: 45. وســير أعلام النبلاء: 208/18. على اختلاف يســير في بعض مفرداتها. والأبيات ضمن قصيدة أرسلها إلى قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشر، يفخر فيها بالعلم، ويذكر أصناف ما علم. ومن أبياتها:

فيا عجبًا من غاب عنهم تشـــوقوا لـــه، ودنو المرء من دارهم ذنـبُ

وإن مكـانًـا ضـــاق عني لضـــيقٌ على أنـه فُسْـــحٌ مهامهـه سُـــهْبُ

وإن رجـالًا ضـــيعوني لَضُـــيَّعٌ وإن زمـانًـا لم أنـل خصـــبـه جدبُ

(3) طوق الحمامة: 261.

(4) طوق الحمامة: 252.

في خير دار إقامة، وبين خير أهل وجيران، وعند أجل الناس همة، وأكملهم معروفا، وأتمهم سيادة".[1]

ثم هاجر ابنُ حزم إلى بلنسية، اختياراً منه لنصرة الخليفة. وتقلبت به أمور السياسة، ثم عاد إلى قرطبة في شوال سنة تسع وأربعمائة.[2]

وفي كل ذلك كان شـــعور ابن حزم أنه المطارد المبعد عن الوطن والأهل والولد، الخائف على نفسه من الظلم والعدوان، وهو يعلن ذلك ولا يستره.[3]

أما عن هجرته في النصــف الآخر من حياته بعد أن انقطع للعلم، ونَبَذَ الســياســة، فكانت بسبب جداله عن علمه بشدته المعروفة، وعدم التلطف في الرد، فقام عليه الفقهاء إذ سَفَّهَ أحلامهم، وخالف آراءهم، ونسبهم إلى التقليد، وهو في كل ذلك مُقْذع في الِحجَاج، لاذع في الاعتراض: "حتى اســتُهدف إلى فقهاء وقته، فَتَمَالؤُوا على بغضـــه، ورد أقواله، فأجمعوا على تضـــليله، وَشَـــنَّعُوْا عليه، وحذَّروا ســـلاطينهم من فتنته ... وطفق الملوك يُقصونه عن قُربهم، ويُسَيِّرُونَه عن بلادهم".[4]

وفي هذا الدور من رحلاته لجأ ابن حزم مرة أخرى إلى الأقاليم الشـــرقية الأندلســـية بحكم طابعها العامري وقربها من الأموية،[5] فخرج إلى شـــاطبة إحدى مدن إمارة بلنســـية التي ذهب إليها أيام المرتضـــــى ثم تنقل بين مدن الأندلس، فزار قلعة البونت، ولجأ إلى ميورقة، وكان واليها أحمد بن رشـيق محباً للعلم وأهله فأكرمه وأحســن مثواه، والذي يظهر أن ابن حزم ضعف أمره بعد موت ابن رشيق سنة 440هـ.

وفي ميورقة ظهر لابن حزم عدو لدود هو أبو عبد الله محمد بن سـعيد الميورقي أحد المالكية المتعصـبين الذين تصـدروا بميورقة لتدريس الفقد وأصـول الفتيا، فعجز عن مجاراة

---

(1) المصدر السابق: 261.

(2) المصدر السابق: 252.

(3) التقريب لحد المنطق: 200.

(4) ســـير أعلام النبلاء: 201/18. والذخيرة: 168/1. والإحـاطـة في أخبـار غرنـاطـة: 91/4. ومعجم الأدبـاء: 1655/4.

(5) ابن حزم صورة أندلسية لطه الحاجري:153؛ وابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 65.

ابن حزم، فما إن سمع بوصول أبو الوليد الباجي من رحلته إلى المشرق حتى كتب إليه يستقدمه إلى ميورقة،[1] وتعاون معه –محرضاً الجماهير– على ابن حزم حتى تمكنا من إجلائه عنها بعد مناظرات كثيرة.[2]

ثم أضطر للخروج من ميورقة، فذهب إلى إشبيلية، فكاد له فقهاؤها وأفسدوا بينه وبين المعتضد بن عباد... فانتهى المطاف به إلى "لبلة" موطن أسرته، ومنبت أرومته، وهناك أمضى بقية حياته، وانتهى تاريخه حيث بدأ تأريخ أسرته.

حصاد رحلاته:[3]

إن الجو النفسي المضطرب الذي عاش فيه ابن حزم كان كفيلاً بتدمير فكره، وتحويله إلى شخص عادي، لو لم يكن هذا الشخص من طراز غريب وشاذ.

فمع هذه الفتن والدسائس التي عاش فيها، ومع أن هناك بالتأكيد آثاراً سلبية يمكن أن تكون هذه الاضطرابات قد عكستها على فكر ابن حزم أسلوباً ومضموناً إلا أن إنتاجه العلمي لم يتوقف، ومعاركه دفاعاً عن آرائه كانت تحتدم كلما نزلت به نازلة.

وهو يلخص لنا نفسيته العجيبة، وشغفه الفكري، بالرغم من كل ما يحيط به، يقص علينا قصة من قصصه في المعتقلات، فيقول:

"وأحدثك في ذلك بما نرجو أن ينتفع به قارئه ان شاء الله تعالى، ذلك أني كنت معتقلاً في يد الملقب بالمستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر في مطبق. وكنت لا آمن قتله لأنه كان سلطاناً جائراً ظالماً عادياً قليل الدين كثير الجهل غبر مأمون ولا متثبت، وكان ذنبنا عنده صحبتنا للمستظهر رضي الله عنه. وكان العيارون قد انتزوا بهذا الخاسر على المستظهر فقتله، واستولى على الأمر واعتقلنا حيث ذكرنا. وكنت مفكراً في مسألة عويصة من كليات الجمل التي تقع تحتها معان عظيمة

(1) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 65، نقلاً عن مناظرات ابن حزم والباجي ص 46 لعبد المجيد التركي.
(2) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: 235/4. وانظر بلانثيا: تاريخ الفكر الأندلسي 215.
(3) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 65، بتصرف.

كثر فيها الشـــغب قديماً وحديثاً في أحكام الديانة، وهي متصـــرفة الفروع في جميع أبواب الفقه، فطالت فكرتي فيها أياماً وليالي، إلى أن لاح لي وجه البيان فيها، وصـــح لي وحق لي الحق يقينا في حكمها وانبلج، وانا في الحال الذي وصـــفت. فبالله الذي لا إله إلا هو الخالق مدبر الامور كلها أقسم بالذي لا يجوز القسم بسواه، لقد كان سروري يومئذ وأنا في تلك الحال بظفري بالحق فيما كنت مشـــغول البال به، وإشـــراف الصـــواب لي، أشـــد من ســـــروري باطلاقي مما كنت فيه، وما ألّفنا كتابنا هذا وكثيراً مما ألّفنا إلا ونحن مغربون مبعدون عن الوطن والأهل والولد، مخافون مع ذلك في أنفسنا ظلماً وعدواناً، لا نستر هذا بل نعلنه، ولا نمكن الطالب إبطال قولنا في ذلك، إلى الله نشكو، واياه نستحكم لا سواه، لا اله الا هو".[1]

وبعد خروجه الأول من قرطبة إلى لمرية تابع ابن حزم تحصـــيل العلم، ويُخبر أنه كان متصلاً في المرية بطبيب إسرائيلي هو إسماعيل بن يونس، كان يجلس في دكانه،[2] ويبدو أنه كانت بينهما مناقشات وجهت نظر ابن حزم إلى دراسة الملل والنحل،[3] ويرجح الدكتور طه الحاجري أن ابن حزم التقى وإسماعيل بن النغريلة لأول مرة في المرية أيضاً على أساس أنه ناظره في سنة 404هـ، وابن حزم كان في هذه السنة في المرية، لكن من المؤكد أن ابن حزم عاش جزءاً من هذه الســـنة أيضـــاً في قرطبة قبل أن يهاجر هجرته الأولى.

وفي المرية رأى ابن حزم بعض المناظرات، واطلع على بعض مبادئ ابن مســـرة الباطنية، وعلى بعض آراء المعتزلة.

وفي شـــاطبة بعد أن غادر ابن حزم في الدورة الثانية من عمره وضـــع كتابه "طوق الحمامة"، وهو بيّن هذا في صـــدر كتابه الطوق[4] الذي كتبه تنفيســـاً عن نفســـه، وتأريخاً

(1) التقريب لحد المنطق: 199-200.

(2) الطوق: 114.

(3) د. طه الحاجري ص88.

(4) الطوق: 84.

لرصيد يملكه منذ أيامه الأولى التي ما زال يحن إليها... فهو في الحقيقة ذكريات سجلها ابن حزم عن مجده وحياته في قرطبة بعد أنه خرج منها دون أمل في العودة إليها.

وفي شاطبة أيضاً بدأ يضع تخطيطاً لكتابه الموسوعي "الفِصَل"، ويكتب بعض فصوله، كما أنه كتب بعض كتبه الأخرى.

أما في " قلعة البونت" فقد كتب كتابه "فضائل علماء الأندلس" استجابة، -كما يقول- لرغبة صاحبها أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن قاسم.[1]

وفي ميورقة -قصبة الجزر الشرقية- وتحت رعاية واليها المجاهد ابن عبد الله العامري ونائبه أحمد بن رشيق أتيح لابن حزم أن يجاهر بمذهبه الظاهري ويدعو إليه، وينافح عنه، ويكون مدرسة فقهية تاريخية على رأسها تلميذه أبو عبد الله محمد بن فتوح الأزدي.

ولما يئس فقهاء ميورقة ورئيسهم محمد بن سعيد الميورقي من الانتصار عليه استجلبوا له أبا الوليد الباجي -كما ذكرنا- وكان هذا الأخير مرناً، قادراً على كسب قلوب الحكام، وتأييد الجماهير وتأليبهم فاضطر ابن حزم إلى مغادرة ميورقة إلى إشبيلية حيث كان سلوكه هناك على نحو سلوكه في ميورقة... فكاد له الفقهاء على نحو ما كادوا له من قبل ذلك... فرأى أنه لن تستقر له حياة إلا بعودته إلى منبت رأس أسرته "منت ليشم" من أعمال "لبلة" فعاد إليها بادئاً دوراً جديداً في حياته، اتصل به حبل إنتاجه العلمي، ودفاعه عن مبادئه، وتكوين لمدرسة فكرية، بالقدر الذي تتيحه البيئة الجديدة.

(1) فضائل علماء الأندلس: 5.

المبحث السابع:

مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه

برغم الانتقادات التي وجهت لابن حزم لمخالفته جمهور العلماء في كصـــير من المســـائل، إلا أنه ليس كباقي المخالفين، والمادحون له أكثر من القادحين، فقد أثنى عليه الكثير من الأئمة والعلماء، نظراً لسعة معارفه وتعدد فنونه، وذكائه وحفظه ومحبته للحديث الشـريف وجلالة كتبه، ونفاسـة تآليفه، وذبه عن الدين وأهله، ومجادلته أصـحاب المذاهب والنحـل الأخرى، فهو العـالم النحرير الحـافظ الفقيـه المحـدث المؤرخ الأديـب الشـــاعر، المستحق لهذه الأوصاف وغيرها عن جدارة وريادة.

وهذه نبذة من أقوال بعض الأئمة الأعلام حسب التسلسل الزمني:

1 – **قال القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد:** كان أبو محمد بن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة، والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار. وأخبرني ابنه أبو رافع الفضل بن علي أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربع مائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة.[1]

وقال: وأقبل على علوم الإسلام حتى نال من ذلك ما لم ينله أحد بالأندلس قبله.[2]

2 – **وقال أبو مروان ابن حيان:** كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلّق بأذيال الأدب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة.[3]

---

(1) الصلة: 395. ووفيات الأعيان: 326/3. وسير أعلام النبلاء: 187/18. ونفح الطيب: 78/2.

(2) سير أعلام النبلاء: 188/18.

(3) الذخيرة لابن بسـام الشـنتريني: 167/1. ومعجم الأدباء: 1654/4. والمغرب في حلى المغرب: 354/1. وتذكرة الحفاظ للذهبي: 230/3. والإحاطة في أخبار غرناطة: 88/4.

وقال: " ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود لعنهم الله ومع غيرهم من أولي المذاهب المرفوضة من أهل الاسلام مجالس محفوظة وأخبار مكتوبة. وله مصنفات في ذلك معروفة".[1]

وقال أيضاً: "ويا لبدائع هذا الحبر علي لبن حزمٍ وغرره! ما أوضحها على كثرة الدافنين لها، والطامسين لمحاسنها! وعلى ذلك فليس ببدع فيما أضيع منه، فأزهد الناس في عالم أهله، وقبله أردى العلماء تبريزهم على من يقصر عنهم، والحسد داء لا دواء له".[2]

3 – **وقال أبو عبد الله الحميدي:** كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفنناً في علوم جمة عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله من الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به في العلوم وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً، وسمع سماعاً جمّاً.[3]

وقال: وما رأينا مثله رحمه الله فيما اجتمع له مع الذكاء وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين... وكان له في الآداب والشعر نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير جمعته على حروف المعجم.[4]

4 – **وقال أبو حامد الغزالي:**[5] "وجدت في أسماء الله تعالى كتابًا لابن حزم يدل على

(1) الذخيرة لابن بسام: 172/1. ومعجم الأدباء: 1658/4.

(2) انظر المرجعين السابقين.

(3) جذوة المقتبس: 308.

(4) الجذوة: 309.

(5) محمد الغزالي (450 – 505 هـ) (1058 – 1111 م) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي (زين الدين، حجة الاسلام، أبو حامد) حكيم، متكلم فقيه، أصولي، صوفي، مشارك في أنواع من العلوم. ولد بطوس بخراسان، وطلب الفقه لتحصيل القوت، ثم ارتحل الى أبي نصر الاسماعيلي بجرجان، ثم الى إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور، فاشتغل عليه ولازمه ثم جلس للاقراء، وحضر مجلس نظام الملك، فأقبل عليه نظام الملك، فعظمت منزلة الغزالي، وندب للتدريس بنظامية بغداد، ثم أقبل على العبادة والسياحة، فخرج الى الحجاز فحج، ورجع الى دمشق فاستوطنها عشر سنين، ثم سار الى القدس والاسكندرية، ثم عاد الى وطنه بطوس، ثم ان الوزير فخر الدين ابن نظام الملك طلبه الى نظامية نيسابور فأجاب الى ذلك، ثم عاد الى وطنه، وابتنى الى جواره خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين ولزم الانقطاع، وتوفي ببلده. من تصانيفه الكثيرة:

عِظَم حفظه، وسيلانِ ذهنه".[1]

5 – وقال عز الدين ابن عبد السلام:[2] "ما رأيت في كُتُب الإسلام في العلم مثل "المُحَلَّى" لابن حَزْم، و"المغني" للشَّيخ الموفَّق".[3]

6 – وقال عبد الواحد بن علي المراكشي:[4] "نبذ الوزارة واطَّرحها اختيارًا، وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن، فنال من ذلك ما لم ينل أحد قبله بالأندلس".[5]

7 – وقال ابن تيمية:[6] "...وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مكابر؛ ويوجد في كتبه من كثرة الاطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال؛

إحياء علوم الدين، الحصن الحصين في التجريد والتوحيد، تهافت الفلاسفة، الوجيز، والوسيط، والبسيط في فروع الفقه الشافعي، والمستصفى في أصول الفقه. تنظر ترجمته في: [وفيات الأعيان: 216/4، وسير أعلام النبلاء: 322/19، والوافي بالوفيات: 211/1، وطبقات الشافعية الكبرى: 191/6، وطبقات الشافعيين لابن كثير: 533].

(1) طبقات علماء الحديث: 344/3. وتذكر الحفاظ: 228/3. والسير للذهبي: 187/18. ونفح الطيب: 78/2. وشذرات الذهب: 37/1.

(2) ابن عبد السَّلام (577 – 660 هـ = 1181 – 1262 م) شيخ الإسلام عزّ الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي،. تفقّه على الفخر ابن عساكر وقرأ الأصول على السّيف الآمدي وغيره وسمع الحديث من الحافظ القاسم بن عساكر وغيره. روى عنه تلاميذه ابن دقيق العيد وهو الذي لقّبه بسلطان العلماء والعلاء الباجي والتاج الفركاح وأبو محمد الدّمياطي وغيرهم. وأخباره في الزهد والعلم والقيام في الحقّ أشهر من أن تذكر، وقد ولي خطابة الجامع الأموي بدمشق، ثم انتقل إلى مصر وفاه على المنبر في حقّ السلطان بما لا يقدر عليه سواه، فخضع له الخلق وظهر له القبول العام وتولى القضاء والخطابة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على عادته، وأكرمه حافظ العصر عبد العظيم المنذري وامتنع من الفتيا لأجله وقال: منصب الفتيا متعين له. وكان الشيخ عزّ الدين يحضر مجلسه ويسمع عليه الحديث وكراماته كثيرة. وله الكثير من المؤلفات. توفى بمصر في سنة ستين وستمائة عن ثلاث وثمانين سنة. [سلم الوصول إلى طبقات الفحول: 282/2، والأعلام للزركلي: 21/4].

(3) تذكرة الحفاظ: 229/3، والسير للإمام الذهبي: 193/18. والوافي بالوفيات: 94/20. وشذرات الذهب: 161/7.

(4) عبد الواحد المرّاكشي (581– 647هـ) (1185–1249م) عبد الواحد بن علي التميمي، المراكشي، المالكي (محيى الدين، ابو محمد) مؤرخ ولد بمراكش في 7 ربيع الثاني، وتعلم بفاس والاندلس، ورحل الى مصر، وتجول في بلدان المشرق. من تصانيفه: المعجب في تلخيص اخبار المغرب. [معجم المؤلفين: 210/6، وانظر الأعلام: 176/4].

(5) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: 43.

(6) أحمد بن تيميّة (661 – 728 هـ) (1263 – 1328 م) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية، الحراني، ثم الدمشقي، الحنبلي، شيخ الاسلام (تقي الدين ابو العباس) محدث، حافظ، مفسر، فقيه، مجتهد، مشارك في انواع من العلوم. ولد في 10 ربيع الأول بحران، وقدم مع والده وأهله الى دمشق وهو صغير. حدث بدمشق ومصر، والثغر، وقد امتحن، وأوذي مرات، وحبس بقلعة القاهرة، والاسكندرية وبقلعة دمشق مرتين، وتوفي بها في 20 ذي القعدة. من مصنفاته الكثيرة: مجموعة فتاويه في خمس مجلدات، السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، بيان الجواب الصحيح لمن بدل

والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره. فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح. وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء. وتعظيم أئمة الأمة وعوامها للسنة والحديث وأهله في الأصول والفروع من الأقوال والأعمال: أكثر من أن يذكر هنا".[1]

8 – **وقال الذهبي**: "الإمام الأوحد، البحر، ذو الفنون والمعارف... الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف".[2]

وقال: "نشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاء مفرطاً، وذهنا سيالاً، وكتباً نفيسةً كثيرة...وكان قد مهر أولا في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم من ذلك، ولقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق، ويقدمه على العلوم، فتألمت له، فإنه رأس في علوم الإسلام، متبحر في النقل، عديم النظير على يبس فيه، وفرط ظاهرية في الفروع لا الأصول".[3]

وقال: "وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر. وفيه دين وخير، ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة، ولزم منزله مكبا على العلم، فلا نغلو فيه، ولا نجفو عنه، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار".[4]

وقد حط أبو بكر بن العربي على أبي محمد في كتاب القواصم والعواصم وعلى الظاهرية، فقال: هي أمة سخيفة، تسورت على مرتبة ليست لها، وتكلمت بكلام لم نفهمه، تلقوه من إخوانهم الخوارج حين حكم علي – رضي الله عنه – يوم صفين، فقالت: لا حكم إلا لله. وكان أول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن، فلما عدت وجدت القول بالظاهر

دين المسيح، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، وقواعد التفسير. [معجم المؤلفين: 261/1. وانظر الأعلام: 144/1]

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية: 19/4–20.

(2) سير أعلام النبلاء: 184/18.

(3) المرجع السابق: 186/18.

(4) المرجع السابق: 187/18.

قد ملأ به المغرب سخيف كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم، نشأ وتعلق بمذهب الشافعي، ثم انتسب إلى داود، ثم خلع الكل، واستقل بنفسه، وزعم أنه إمام الأمة يضع ويرفع، ويحكم ويشرع، ينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفيرا للقلوب منهم...إلخ.[1]

فقال الذهبي معلقاً على كلام ابن العربي: "لم ينصف القاضي أبو بكر – رحمه الله – شيخ أبيه في العلم، ولا تكلم فيه بالقسط، وبالغ في الاستخفاف به، وأبو بكر فعلى عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد، ولا يكاد، فرحمهما الله وغفر لهما".[2]

وقال أيضاً: "ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح، ومعرفته به، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة، ولكن لا أكفره، ولا أضلله، وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين. وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه".[3]

وقال: "ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة، تقع له المسائل المحررة والمسائل الواهية كما يقع لغيره، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم".[4]

9 – وقال ابن مفلح:[5] "وَكَانَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهى فِي الذكاء وَالْحِفْظ وَكَثْرَة الْعلم وَكَانَ متفننا فِي عُلُوم جمة وَله التصانيف الفاخرة فِي عُلُوم شَتَّى حَتَّى فِي الْمنطق وَشرح الْمحلى لِابْنِ حزم فِي اثني عشر مجلداً".[6]

---

(1) المرجع السابق: 18/188–189.

(2) المرجع السابق: 18/190.

(3) المرجع السابق: 18/201–202.

(4) تذكرة الحفاظ: 3/231.

(5) ابن مُفْلِح (749 – 803 هـ = 1348 – 1401 م) إبراهيم بن محمد بن مفلح الراميني الأصل، الدمشقيّ، أبو إسحاق، برهان الدين: شيخ الحنابلة في عصره. من كتبه (طبقات أصحاب الإمام أحمد) و (كتاب الملائكة) و (شرح المقنع) وتلف أكثر كتبه في فتنة تيمور بدمشق. [الأعلام: 1/64. ومعجم المؤلفين: 1/100].

(6) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح: 2/213.

10 – **وقال ابن كثير**: " ...قرأ القرآن، واشـــتغل بالعلوم الشـــرعية، فبرز فيها، وفاق أهل زمانه، وصنف الكتب المفيدة المشهورة، يقال: إنه جمع أربعمائة مجلدة من تصنيفه في قريب من ثمانين ألف ورقة. وكان أديباً طبيباً شـاعراً فصـيحاً، له في الطب والمنطق اليد العليا، وكان من بيت وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة".[1]

11 – **وقال الفيروزآبادي**:[2] "إمام في الفنون. وزر هو بعد أبيه للمظفر، ثم ترك الوزارة، وأقبل على التصنيف ونشر العلم".[3]

11 – **وقال ابن حجر العســـقلاني**: "الفقيه الحافظ الظاهري... وكان واســـع الحفظ جداً...".[4]

12 – **وقال الســـيوطي**:[5] " وَكَانَ صَـــاحب فنون وورع وزهد وَإِلَيْهِ الْمُنْتَهى فِي الذكاء وَالْحِفْظ وسعة الدائرة فِي الْعُلُوم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الْإِسْلَام وأوسعهم مَعَ توسعه فِي عُلُوم اللِّسَان والبلاغة وَالشعر وَالسير وَالْأَخْبَار".[6]

---

(1) البداية والنهاية: 796/15.

(2) الفِيرُوزَابادي (729 – 817 هـ = 1329 – 1415 م) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والأدب. ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند. ورحل إلى زبيد (سنة 796 هـ فأكرمه ملكها الأشرف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها. وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد. أشهر كتبه (القاموس المحيط) أربعة أجزاء وله غيره الكثير [الأعلام: 146/7].

(3) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: 201.

(4) لسان الميزان: 488/5.

(5) عبد الرحمن السّيوطي (849 – 911 هـــ) (1445 – 1505 م) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضـر بن ايوب الخضـيري الأصـل، الطولوني، المصـري، الشـافعي (جلال الدين، ابو الفضـل) عالم مشـارك في أنواع من العلوم ولد في رجب، ونشـأ بالقاهرة يتيماً، وقرأ على جماعة من العلماء، ولما بلغ أربعين سـنة اعتزل الناس وخلا بنفسـه في روضـة المقياس على النيل منزويا عن أصـحابه جميعاً فألف أكثر كتبه، وتوفى في 19 جمادى الأولى. بمنزله بروضـــة المقياس، ودفن في حوش قوصـــون خارج باب القرافة. من مؤلفاته الكثيرة: الدر المنثور في التفسير المأثور، المزهر في اللغة، الجامع الصغير في الحديث، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة. [معجم المؤلفين: 128/5. وانظر كتاب الأعلام: 301/3].

(6) طبقات الحفاظ للسيوطي: 436.

13 – وقال ابن العماد الحنبلي:[1] "وكان إليه المنتهى في الذكاء، وحدّة الذهن، وسعة العلم بالكتاب، والسّنّة، والمذاهب، والملل والنّحل، والعربية، والآداب، والمنطق، والشعر، مع الصدق والدّيانة والحشمة، والسؤدد، والرئاسة، والثروة، وكثرة الكتب".[2]

وغيرهم الكثير من أئمة التاريخ والحديث والفقه والأدب قديماً وحديثاً.

(1) ابن العِماد العَكري (1032 – 1089 هـ = 1623 – 1679 م) عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح: مؤرخ، فقيه، عالم بالأدب. ولد في صالحية دمشق، وأقام في القاهرة مدة طويلة، ومات بمكة حاجا. له (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) ثمانية أجزاء، و (شرح متن المنتهى) في فقه الحنابلة، و (شرح بديعية ابن حجة)، ورسائل، منها (معطية الأمان من حنث الأيمان). [الأعلام: 290/3. وانظر معجم المؤلفين: 107/5].

(2) شذرات الذهب: 240/5.

المبحث الثامن:

مصنفاته وآثاره

هناك إجماع بين المؤرخين أن ابن حزم رحمه الله تعالى من أكثر أهل الإسلام تصنيفاً، بل هو ثالث ثلاثة[1] في أمة الإسلام عرفوا بكثرة مؤلفاتهم، قال القاضي صاعد: "وأخبرني ابنه الفضل المكنَّى أبا رافع، أن مبلغ تآليفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب، وكتب الأدب، والرد على المعارضين، نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة".[2]

ويعلق القاضي صاعد على كلام أبي رافع بن علي بن حزم على ذلك بقوله: "وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في دولة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً".[3]

ويقول معاصره أبو حيان: "" ... ولا يدع المثابرة على العلم، والمواظبة على التأليف، والإكثار من التصنيف حتى كمل من مصنفاته في فنون العلم وقر بعيرٍ، لم يعد أكثرها عتبة بابه لتزهيد الفقهاء طلاب العلم فيها، حتى أحرق بعضها بإشبيلية ومزقت علانية، لا يزيد مؤلفها ذلك إلا بصيرة في نشرها، وجدالاً للمعاند فيها، إلى أن مضى لسبيله".[4]

ولقد تحدث ابنُ حزم بما أنعم الله عليه من كثرة التصانيف، وسعة التآليف فقال: "ولنا فيما تحققنا به تآليف جمة، منها ما قد تَمَّ، ومنها ما شارف التمام، ومنها ما قد مضى منها صدرٌ ويعين الله على باقيه، لم نقصد به قَصْد مباهاةٍ فنذكرها، ولا أردنا السمعة فنسميها، والمراد بها رَبُّنا جل وجهه، وهو ولي العون فيها، والمَلِيُّ بالمجازة عليها،

---

(1) وهم: ابن جرير الطبري وابن الجوزي.

(2) الصلة: 395. ووفيات الأعيان: 326/3. وسير أعلام النبلاء: 187/18. ونفح الطيب: 78/2.

(3) معجم الأدباء: 1651/4. والمعجب في تلخيص أخبار المغرب: 44. وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة: 440/5.

(4) الذخيرة لابن بسام: 169/1. ومعجم الأدباء: 1655/4. وتذكرة الحفاظ: 230/3. ولسان الميزان: 200/4.

وما كان لله تعالى فسيبدو، وحسبنا الله ونعم الوكيل".[1]

ويدرك المطلع في مؤلفات ابن حزم بوجه عام مقدرته العقلية العجيبة في الفهم الدقيق والنظر الشامل وفي الاستنباط الدقيق وفي نقد آراء الغير ومجادلتهم، وهذه خاصة عقلية تلحظها في عموم كتبه فلا تكاد تجده مرة مسترخي الذهن، أو نائم العقل، أو مستسلما للنقل، وإنما هو حاضر العقل يقظ الذهن ما يقول لابد أنه مر من رأسه، وتردد بين تلافيف مخه، لذا تراه إذا عرض الموضوع الذي يريد لا يفرض عليه شيئاً من أطرافه المتشعبة ويصل إلى الهدف الذي رسمه في مبدأ الطريق بخط مستقيم وهذه صفة نادرة في العلماء الواسعي الثقافة، وتراه مع كل هذا سالكا طريقته الحرة الصريحة التي لا يسير فيها وراء أحد مهما كانت منزلته ما دام يخالف ظاهر الكتاب والسنة، أو يأتى بقول لا يدلان عليه أو لا يعتمد فيه على صريحهما أو يخالف بدائه العقول.[2]

وهذه قائمة بأسماء مؤلفاته التي وُقِفَ عليها:[3]

---

(1) رسالة فضل الأندلس ضمن رسائل ابن حزم 2/186-187.

وقد ذكر عبد الحليم عويس قصة تدل على بركة وقت ابن حزم في التأليف وهي: وقد ورد عن أبي خالد العاص بن سعيد بن سعود قوله: وجدت بخط للفقيه الحاج أبي أسامة -رحمه الله تعالى- (وهو أحد أبناء ابن حزم) أخبرني الفقيه الإمام الحاج أبو بكر الطرطوشي -رحمه الله تعالى- قال: جلست أنا والفقيه أبو سليمان (وهو أحد أبناء ابن حزم أيضاً) -أخوك- على تواليف أبيك -رضي الله عنه- كلها مع المختصين من أصحابه، وأحصينا المدة التي يمكن نسخ جميعها لناسخ تكون صناعته لا يفتر عن النسخ إلا وقت وضوء وصلاة وأخذ غذاء وما أشبه ذلك فوجدنا مدة ذلك ثمانين سنة، بعد التقصي لذلك والاجتهاد أيضاً للناسخ ما تقدم في اجتهاده وكده بعد أن يكون من أهل الصناعة مشهوراً"، قلت: وفي أسلوبها وركاكتها ما يدخل الشك على النفس في ثبوتها.

(2) ابن حزم وموقفه من الإلهيات: 71.

(3) من الباحثين الذين اعتنوا بإحصاء كتب ابن حزم: العلامة سعيد الأفغاني في ابن حزم ورسالته في الصحابة، ود. عبد الحليم عويس في "ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري"، ود. محمود علي حماية في "ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان"، ود. الحمد في "ابن حزم وموقفه من الإلهيات" والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني في مقالة المشار إليه آنفا: "مؤلفات ابن حزم" ود. إحسان عباس في تقديمه لرسائل ابن حزم، وأبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في مقاله عن كتب ابن حزم المفقودة. كما اعتنى المستشرقون بحصر كتب ابن حزم، كأسين بلاسيوس ASIN PALACIES. والدكتور محمد بن زين العابدين رستم في تحقيقه لكتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس. والدكتور أحمد بن ناصر الحمد في كتابه: ابن حزم وموقفه من الإلهيات، والأستاذ خالد الرباط في مقدمة تحقيقه للمحلى طبعة دار ابن حزم. وقد اعتمدت في سرد مؤلفاته على ما ذكره الدكتور محمد بن زين العابدين رستم في تحقيقه الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس: 1/117-140.

1 – الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 194

2 – إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد: منه نسخة خطية في مكتبة غوطة برقم 460.

3 – الإجماع ومسائله على أبواب الفقه. قلت: لعله مراتب الإجماع الآتي.

4 – أجوبة "كالأجوبة على المسائل المستغربة من البخاري لابن عبد البر". قال حاجي خليفة بعد أن ذكر كتاب ابن عبد البر: "ولأبي محمد بن حزم عدة أجوبة عليه".

5 – الإحكام في أصول الأحكام: ذكره ابن حزم في الفصل ج 5 / ص 11 فقال: "والحق لا يتعارض، والبرهان لا يناقضه برهان آخر، وقد تقصينا هذا في كتابنا الموسوم بكتاب الإحكام في أصول الأحكام فأغنى عن ترداده. وقد نُشر الكتاب عدة مرات، ومن نشراته: نشرة الشيخ أحمد شاكر سنة 1345 هـ بمطبعة السعادة.

6 – اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197 وأفاد أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري أنه مفقود.

7 – اختلاف الفقهاء الخمسة: مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وداود: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 194، وأفاد أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري أنه مفقود.

8 – الأخلاق والسير في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل: نشرت عدة مرات مع الاختلاف في العنوان: فنشرها محمد هاشم الكتبي بمصر سنة 1324 هـ، والشيخ عمر المحمصاني سنة 1325 هـ: ود. إحسان عباس ضمن رسائل ابن حزم سنة 1954 م.

9 – أخلاق النفس: ذكره ياقوت، ولعله السابق.

10 – الأدوية المفردة: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197، وأبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري وأفاد أنه مفقود.

- الاســـتجلاب: ذكره هكذا الذهبي في الســـير ج 18/ ص 195 وابن عقيل الظاهري ضمن المفقودات.

12 - الاستقصاء: ذكره العلامة سعيد الأفغاني في حصره لمؤلَّفات ابن حزم في مقدمة كتاب "المفاضـــلة بين الصـــحابة"، وأفاد أنه عثر عليه في كتاب "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" للبدر الزركشي.

13 - أسماء الخلفاء المهديين والأئمة أمراء المؤمنين وأسماء الولاة من قريش، ومن بني هاشم، وذكر مددهم إلى زماننا: نشر في نيل جوامع السيرة بتحقيق: د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد: وطبعته دار المعارف بمصر.

14 - أسماء الصحابة الرواة، وما لكل من العدد: ذكر المؤلف فيه من روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم- من الصحابة حديثا فما فوقه على مراتبهم في ذلك: أصحاب الألوف وما زاد منهم، ثم أصحاب الألفين، ثم أصحاب الألف، وهكذا حتى يصل إلى أصحاب الأفراد، والرسالة منشورة ضمن "جوامع السيرة" بتحقيق د. إحسان عباس ود. ناصر الدين أسد.

15 - أسـماء الله الحسـنى: ذكره الذهبي والمقري، ووقف عليه الغزالي فقال: "وجدت في أسماء الله تعالى كتابا لأبي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه". كما ذكره في "المقصـد الأسـنى شـرح أسـماء الله الحسـنى". وقال: "ولم أعرف أحدا من العلماء اعتنى بطلب ذلك وجمعه، ســـوى رجل من حفاظ المغرب، يقال له علي بن حزم، . فإنه قال: "صح عندي قريب مِنْ ثمانين اسما يشتمل عليها الكتاب والصحاح من الأخبار، والباقي ينبغي أن يُطلب عن الأخبار بطريق الاجتهاد".

16 - أصحاب الفُتيا من الصحابة، ومَنْ بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا: نُشر محققا في ذيل جوامع السـيرة المطبوعة بمصـر. دار المعارف سـنة 1956 م بتحقيق: د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد.

17 – الأصول والفروع: يوجد ضمن مجموعة رسائل ابن حزم، مخطوطا في مكتبة شهيد علي بإستنبول برقم 2704، وقد نشر بتحقيق د. محمد عاطف العراقي، ود. سهيل فضل الله ود. إبراهيم هلال سنة 1978 م.

18 – إظهار تبديل اليهود والنَّصارى للتوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك، مما لا يحتمل التأويل: ذكره الحميدي، وابن خلكان والذهبي واليافعي، وقال الحميدي: "وهذا مما لم يسبق إليه"، وقد طُبع مُضَمَّنًا "الفصل" ج 1/ ص 166 و ج 2/ ص 91.

19 – الإظهار لما شنع به على الظاهرية: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196 وأفاد أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري أنه مفقود.

20 – الاعتقاد: ذَكَرَ القاضي أبو بكر ابن العربي أن رجلا جاء برسالته في الاعتقاد لابن حزم، فنقضها برسالة "الغرة".

21 – الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس.

22 – الإمَامَة والسِّياسة في سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها: ذكره ابن بسام والمقري وسماه: "الإمامة والخلافة".

23 – الإملاء في قواعد الفقه: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 195 وأفاد أنه في أَلْفِ ورقة.

24 – أمهات الخلفاء: رسالة نشرها صلاح الدين المنجد في مجلة المجمع العلمي بدمشق المجلد الأول 34 سنة 1959. ص 291 – 299 ثم أُفردت بالطبع.

25 – الإنصاف في الرجال: ذكره ابن حجر في اللسان ج 6/ ص 217.

26 – أن القرآن ليس من نَوْع بلاغة الناس: ذكره المؤلف في الفصل ج 1/ ص 107.

27 – أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس: ذكره الحميدي في الجذوة ص 168.

28 – أوهام الصحيحين: ذكره أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، ولم يذكر مُستنده في العزو.

29 – الإيصال إلى فَهْم كتاب الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع: ذكره الذهبي، وياقوت الحموي، وابن خلكان والمقري، وقال الذهبي في وصفه: "أورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم. والحجة لكل قول، وهو كبير جدا"، ونقل عن أبي محمد بن العربي أن الإيصال كان عند الإمام أبي محمد بن حزم في أربعة وعشرين مجلدا بخط يده، وكان في غاية الإدماج.

30 – بلغة الحكيم: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197، وابن عقيل في المفقودات.

31 – البلقاء في الرد على عبد الحق بن محمد الصقلي: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 195، وابن عقيل في المفقودات.

32 – البيان عن حقائق الإيمان: يوجد ضمن رسائل لابن حزم مخطوطة في مكتبة شهيد علي بإستنبول برقم 2704، وقد طبع بتحقيق د. إحسان عباس ضمن رسائل ابن حزم سنة 1954 م.

33 – بيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196 وابن عقيل في المفقودات.

34 – بيان الفصاحة والبلاغة: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197 وابن عقيل في المفقودات.

35 – التأكيد: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196 وابن عقيل في المفقودات.

36 – التبيين في هل عَلِمَ المصطفى –صلى الله عليه وسلم– أعيان المنافقين؟ ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 194 وابن عقيل في المفقودات.

37 – التحقيق في نقد زكريا الرازي في كتابه: "العلم الإلهي": ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 195 وقال أنه في مائة ورقة. وقد ذكره ابن حزم في الفصل ج 1/ ص 3 و 34 وابن عقيل في المفقودات.

38 – ترتيب سؤالات عثمان الدرامي لابن معين: ذكره الذهبي فى السير ج 18/ ص 197 وابن عقيل في المفقودات.

39 – الترشيد في الرد على كتاب الفريد لابن الراوندي في اعتراضه على النبوات: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 195 وأفاد أنه في مجلد، وذكره ابن عقيل في المفقودات.

40 – تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197 وابن عقيل في المفقودات.

41 – تسمية شيوخ مالك: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197 وابن عقيل في المفقودات.

42 – التصفح في الفقه: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 194 وأفاد أنه في مجلد، وأورده ابن عقيل في المفقودات.

43 – التعقب على ابن الإفليلي في شرحه لديوان المتنبي: ذكره ابنُ بشكوال في الصلة ج 1/ ص 274 في ترجمة عبد الله بن أحمد النباهي قال: "وله رد على أبي محمد بن حزم فيما انتقده على ابن الإفليلي في شرحه لشعر المتنبي" كما ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197 وابن عقيل في المفقودات.

44 – تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ [سورة يوسف: 110]: ذكره ابن عقيل في المفقودات، وأغفل مستنده.

45 – التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية، والأمثلة الفقهية: ذكره الحميدي والقاضي صاعد الأندلسي والقفطي وابن خلكان والذهبي، وأشار إليه ابنُ حزم في

الفصل ج 1/ ص 4. قال الحميدي واصفا طريقة ابن حزم في هذا الكتاب: " ... فإنه سلك في بيانه، وإزالة سوء الظن عنه، وتكذيب الممخرقين به، طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمناه". ولم يرتض القاضي صاعد هذا الكتاب فقال: "وخالف أرسطو طاليس واضع العلم في بعض أصوله، مُخَالَفَةَ مَنْ لم يَفْهَمْ غرضَه، ولا ارتاض في كتبه، فكتابه من أجل هذا كثير الغلط بَيِّنُ السقط". وطبع الكتاب ضمن رسائل ابن حزم بتحقيق د. إحسان عباس.

46 – التلخيص لوجوه التخليص: ذكره ياقوت في معجم الأدباء ج 12/ ص 247 وقد نشره محققا د. إحسان عباس ضمن رسائل ابن حزم.

47 – تواريخ أعمامه وأبيه وأخيه وبنيه، مواليدهم وتاريخ مَنْ مات منهم في حياته: ذكره ابن عقيل في المفقودات.

48 – التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق: رسالةٌ نشرها د. إحسان عباس ضمن رسائل ابن حزم.

49 – الجامع في صحيح الأحاديث باختصار الأسانيد، والاقتصار على أصحها، واجتلاب أكمل ألفاظها، وأصح معانيها: ذكره الذهبي وابن بسام والمقري، وأشار إليه ابن حزم في المحلى ج 11/ ص 379، وأورده ابن عقيل في المفقودات.

50 – جُمَلُ فُتوح الإسلام بعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: نُشر محققا في جوامع السيرة، ثم أفرده أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري بالنشر، ود. إحسان عباس في رسائل ابن حزم.

51 – جمهرة أنساب العرب: حققه العلامة محمد عبد السلام هارون، وطُبع في دار المعارف بمصر سنة 1382 هـ.

52 – جوامع السيرة: نُشر بتحقيق: د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد.

53 – حجة الوداع: نشر بتحقيق: ممدوح حقي بدمشق سنة 1959 م، ونشر مرة أخرى سنة 1966 م في بيروت.

54 – الحد والرسم: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197.

55 – حد الطب: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197 وابن عقيل في المفقودات.

56 – الحدود: ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج 7/ ص 185.

57 – حديثان أحدهما في صحيح البخاري، والآخر في صحيح مسلم زعم أنهما موضوعان: رواية أبي عبد الله محمد بن نصر الحميدي، والجزء في مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم 624/ 7 وقد نشره محققا أبو عبد الرحمن ابَن عقيل الظاهري وسماه: "نقد حديثين وردا في الصحيحين". في مجلة عالم الكتب السعودية. المجلد الأول – العدد الرابع ص 592.

58 – حُكْمُ مَنْ قال إن أرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم الدين حققه: د. إحسان عباس ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي.

59 – الدرة فيما يلزم الإنسان اعتقاده، والقول في الملة والنحلة باختصار وبيان: ذكره ابن حزم في المحلى ج 1/ ص 75 والذهبي في السير ج 18/ ص 196 وحققها د. إحسان عباس ضمن مجموعة رسائل ابن حزم التي قام بنشرها سنة 1954 م.

60 – ديوان شعر: قال الحميدي في الجذوة ص 278: "وشعره –أي ابن حزم– كثير، وقد جمعناه على حروف المعجم". ويوجد في مكتبة الجامعة الليبية ببنغازي، وأفاد مَنْ رآه أنه يشتمل على أشعار قليلة لابن خزم، وهي معروفة، خلطت معها أشعار للمعري، وقد جمع د. إحسان عباس نتفا من شعر ابن حزم، ونشرها في كتابه: "تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ".

61 – ذو القواعد: هكذا ذكره ابن حزم في الإحكام ج 1/ ص 31 و ج 3/ ص 57 وسماه الذهبي في السير ج 18/ ص 195 "در القواعد في فقه الظاهرية" وقال إنه في ألف ورقة.

62 – رد على إسماعيل بن إسحاق في كتابه "الخمس": ذكره ابن حزم في الأحكام ج 3/ ص 10 وقال: "ولنا عليه فيه رد هتكنا عُواره فيه، وفضحناه بحول الله وقوته". وذكره أبو عبد الرحمن بن عقيل في المفقودات.

63 – الرد على ابن النغريلة اليهودي: نشره محققا د. إحسان عباس في رسائل ابن حزم.

64 – الرد على أناجيل النصارى: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197 وابن عقيل في المفقودات.

65 – الرد على مَن اعترض على "الفِصَل": ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 195 وأفاد أنه في مجلد: وأورده ابن عقيل في المفقودات.

66 – الرد على مَنْ كَفَّر المتأولين من المسلمين: هكذا سَمَّاهُ الذهبي في السير ج 18/ ص 195 وسماه في التذكرة ج 3/ ص 1252، وكذا ابن بسام في الذخيرة ق 1/ ج 1/ ص 143، والمقري في النفح ج 1/ ص 365: "الصادع والرادع في الرد على مَنْ كَفَّرَ أهل التأويل مِنْ فرق المسلمين، والرد على مَنْ قال بالتقليد".

67 – الرد على الهاتف من بُعد: نشره محققا د. إحسان عباس ضمن رسائل ابن حزم.

68 – رسالتان أجاب فيهما عن رسالتين، سئل فيهما سؤال تعنيف: نشر بتحقيق د. إحسان عباس مع رسائل ابن حزم.

69 – الرسالة اللازمة لأولي الأمر: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196: وأورده ابن عقيل في المفقودات.

70 – الرسالة الباهرة في الرد على أهل الأقوال الفاسدة: حَقَّقها محمد صغير حسن المعصومي، ونُشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1988 م.

71 – زجر الغاوي: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196، وأورده ابن عقيل في المفقودات، وأفاد الذهبي أنه في جزأين.

72 – السعادة في الطب: ذكره الذهبي في السير ج / 18 ص 197 وأفاد أنه في مجلد، وأورده ابن عقيل في المفقودات.

73 – السياسة: نَشُر منه شذرات الأستاذ إبواهيم الكتاني في مجلة "تطوان" في المغرب العدد الخامس سنة 1960 م ص 94 – 107.

74 – شرح أحاديث الموطأ، وكلام على مسائله: ذكره ابن حزم في الأصول والفروع ج 1/ ص 207 وياقوت الحموي في معجم الأدباء ج 12/ ص 251، وذكره ابن عقيل في المفقودات.

75 – شرح فصول بقراط: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197 وأورده ابن عقيل في المفقودات.

76 – شفاء الضد بالضد: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197 وابن عقيل في المفقودات.

77 – شيء في العروض: ذكره الذهبي في السير ج / 18 ص 197، وابن عقيل في المفقودات.

78 – الصمادحية في الوعد والوعيد: ذكره الذهبى فى السير ج 18/ ص 196، وابن عقيل في المفقودات.

79 – الضاد والظاء: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197.

80 – الطب النبوي: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197، وابن عقيل في المفقودات.

81 – طوق الحمامة في الألفة الألاف: واشـــتهر ابن حزم بهذا الكتاب، وطبع عدة مرات منها: طبعة د. إحســـان عباس في رســـائل ابن حزم، وترجمت طوق الحمامة إلى الإنجليزية والروسية والألمانية والإيطالية والفرنسية والأسبانية.

82 – العتاب على أبي مروان الخولاني: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196: وابن عقيل في المفقودات.

83 – عدد ما لكل صاحب في مسند بقي بن مخلد: ذكره الذَّهبي في السير ج 18/ ص 197: وابْن عَقِيل في المفقودات، ولعله الذي تقدم برقم 14.

84 – غزوات المنصور ابن أبي عامر: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197.

85 – الغناء الملهي، أمباح هو أم محظور؟ نشـره د. إحسـان عباس ضـمن رسـائل ابن حزم.

86 – رسالة في آية: "فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك": أورده ابن عقيل في المفقودات، ولم يذكر مسنده.

87 – مجموع فَتَاوَى عبد الله بن عباس: ذكره ابن القيم في الوابل الصيب من الكلم الطيب ص 52.

88 – الفرائض: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 195، وابن عقيل في المفقودات.

89 – الفِصَل في الملل والأهواء والنحل: ذكره الحميدي في الجذوة ص 278 وابن خلكان في وفيـات الأعيـان ج 3/ ص 326 وياقوت في معجم الأدباء ج 12/ ص 242 والمقري في نفح الطيب ج 2/ ص 284، ونشر منه طبعات كثيرة.

90 – الفضـــائح: ذكره ياقوت في معجم البلدان ج 1/ ص 369 فقال في مادة "بربر": ولهم مِنْ هذا فضـــائح، ذكر بعضـــها إمام أهل المغرب أبو محمد علي بن أحمد بن ســـعيد بن حزم الأندلســـي في كتاب له ســـماه: "الفضـــائح"، وأورده ابن عقيل في المفقودات.

91 – فضائل الأندلس وأهلها: وتسمى أيضا: "فضل الأندلس وذكر رجالها"، كما تسمى: "بيان فضل الأندلس وذكر علمائه"، وقد نشرها صلاح الدين النجد، ثم د. إحسان عباس في رسائل ابن حزم.

92 – فضل أهل العلم وأهله: ذكره أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في المفقودات.

93 – فهرست شيوخ ابن حزم: ذكره ابن خير في فهرسته ص 429.

94 – القدح المعلَّى تتميم المجلى: ذكره السيوطي في الإتقان ج 1/ ص 79.

95 – القراءات المشهورة في الأمصار الآتية مجيء التواتر: نشر محققاً في ذيل جوامع السيرة بتحقيق د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد بدار المعارف سنة 1956 م.

96 – قصر الصلاة: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196، وأورده ابن عقيل في المفقودات.

97 – قصيدة في الهجاء: يَرُدُّ ابن حزم فيها على قصيدة نقفور الملقب بالدمشق ملك الأرمن: وأولها:

لك الحمدُ يا رب والشكر ثم لك الحمد مَابَاحَ بالشكر فَمُ ذكرها ابن خير في فهرسته ص 410 – 417.

98 – كتاب أَنَّ تارك الصلاة عَمْدا حتى يخرج وقتها، لا قضاء عليه، فيما قد خرج من وقته: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196.

99 – كشف الإلتباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس: ذكره له ابن بسام في الذخيرة ق 1/ ج 1/ ص 171 وياقوت في معجم الأدباء ج 12/ ص 252 والذهبي في التذكرة ج 3/ ص 1152.

100 – ما خالف فيه أبو حنيفة ومالك والشافعي جمهور العلماء، وما انفرد به كل واحد، وقطعة فيما خالف فيه كل واحد الإجماع المتيقن المقطوع به: ذكره ابن حزم في المُحَلَّى ج 10/ ص 349.

101 – المُجَلَّى: قال الذهبي: "في الفقه على مذهبه واجتهاده مجلد". وقال محمد المنتصر الكتاني: "وكتاب المُحَلَّى هو واحد من كتب أربعة لابن حزم، دَوَّنَ فيها فقهه ومذهبه: الإيصال، وهو أكبرها، والخصال، أوسطها، والمُحَلَّى، يليها، والمجلى: أصغرها فالمجلى، مسائله الفقهية مختصرة".

102 – المحلى: هو الكتاب الذي عُرف به ابنُ حزم؛ وذكره له الذهبي في التذكرة ج 3/ ص 1147 وقد اعتنى به جماعة من العلماء فاختصروه، ونقدوه، وَحَشُّوا عليه، فمن المختصرين: أبو حيان المفسر الأندلسي ثم المصري قال الحافظ ابن حجر: "سماه النور الأجْلى في اختصار المحلى"، والحافظ الذهبي وسماه: "المستحلى في اختصار المحلى"، وممن رد على المُحَلَّى: شيخ المالكية ابن زرقون الأندلسي المتوفي سنة 586 هـ. في "الرد على المحلى"، والمحلى آخر مؤلفات ابن حزم، مات ولم يتمه، فأتمه ولده الفضل أبو رافع من كتاب والده الكبير "الإيصال" مختصرا منه مسائله وملخصاتها. وقد قام بتحقيق هذا الكتاب: الشيخ أحمد محمد شاكر والشيخ عبد الرحمن الجزيري، وأتمه محمد منير الدمشقي سنة 1958 م.

103 – المحاكمة بين التمر والزبيب في الطب: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197، وذكره ابن عقيل في المفقودات.

104 – مختصر كتاب الساجي في الرجال: ذكره الذهبي في الميزان ج 3/ ص 90، وابن عقيل في كتب ابن حزم المفقودة.

105 – مختصر في علل الحديث: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 195.

106 – مختصر الملل والنحل: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196.

107 – مختصر الموضح لأبي الحسن المغلس الظاهري: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 194 وابن عقيل في كتب ابن حزم المفقودة.

108 – مراتب الإجماع: نشر بمصر سنة 1357 هـ، ونشرته دار الآفاق ببيروت سنة 1978 م مع نقده لشيخ الإسلام ابن تيمية.

109 – مراتب الديانة: ذكره ابن عقيل في مؤلفات ابن حزم المفقودة 110 – مراتب العلماء وتواليفهم: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196.

111 – مراتب العلوم، وكيفية طلبها، وتعلق بعضها ببعض: ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ج 3/ ص 326، نشره محققا د. إحسان عباس في "رسائل ابن حزم".

112 – مراقبة أحوال الإمام: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 195.

113 – المرطار في اللهو والدعابة: ذكره ابن عقيل في مؤلفات ابن حزم المفقودة.

114 – مسائل أصول الفقه: نُشر بتعليق الأمير الصَّنعاني، ويوجد ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج 1/ ص 77 – 99 وهو في المُحَلَّى ج 1/ ص 65 – 93.

115 – مسألة الإيمان: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196.

116 – مسألة في الروح: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 196.

117 – مسألة الكلب: مخطوط في مكتبة شهيد علي.

118 – مسألة هل السَّواد لون أم لا؟ : ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197، وابن عقيل في كتب ابن حزم المفقودة.

119 – المعارضة: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197، وابن عقيل في كتب ابن حزم المفقودة.

120 – معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها: رسالةٌ نشرها د. إحسان عباس ضمن رسائل ابن حزم.

121 – معنى الفقه والزهد: ذكره الذهبي في السـير ج 18/ ص 196، وابن عقيل في كتب ابن حزم المفقودة.

122 – المفاضلة بين الصحابة: رسالةٌ حققها العلامة سعيد الأفغاني سنة 1359 هـ.

123 – مقالة النحل: ذكره الذهبي في السير ج 18/ ص 197، وابن عقيل في كتب ابن حزم المفقودة.

124 – ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل: حققه العلامة سعيد الأفغاني سنة 1379 هـ.

125 – منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا نَعْرف فيه اختلافا: ذكره ياقوت في معجمه ج 12/ ص 252 وصاحب إيضاح المكنون ج 2/ ص 569.

126 – منظومة في قواعد أصول الفقه الظاهرية: نشرها: أبو عبد الرحمن الظاهري في مجلة الدعوة السعودية، ثم في كتابه "نوادر ابن حزم"، اعتمادا على ما نشره منها قبله الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني بمجلة معهد المخطوطات العربية في الجزء الأول من المجلد الحادي والعشرين عام 1975 م ص 148 – 151.

127 – مهم السنن: ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ج 2/ ص 1924، وأورده ابن عقيل في مؤلفات ابن حزم الظاهري المفقودة.

128 – الناسخ والمنسوخ: طبع بهامش تفسير الجلالين سنة 1308 هـ. ونسب لأبي عبد الله محمد بن حزم: ولذلك توقف بعض الباحثين في صحةِ نسبَةِ الكتاب إلى ابن حزم، بَيْدَ أن صاحب إيضاح المكنون ح/ 615 قَطَعَ أنَّه لابن حزم.

129 – النبذة الكافية في أصـــول الدين: ذكرها ابن حزم في المحلى ج 1/ ص 57، وتوجد نسـخة منها بإزمير برقم 764، وببرلين برقم 5376. وطبعت باسـم "النبذ" في أصول الفقه الظاهري سنة 1413 هـ.

130 – نسـب البربر: ذكره الذهبي في السـير ج 18/ ص 195، وابن عقيل في مؤلفات ابن حزم المفقودة.

131 – النصـــائح المنجية من الفضـــائح المخزية، والقبائح المردية: أورده ابن حزم في الفصل ج 4/ ص 178 – 227 وسماه: "ذكر العظائم المخرجة إلى الكفر".

132 – نقط العروس في النوادر: وقد طبع محققا بعناية د. إحسان عباس في "رسائل ابن حزم".

133 – نكت الإســـلام: ذكره ابن حزم في المحلى ج 1/ ص 57: وقال ابن العربي المعافري: "وقد جاءني رجل بجزء لابن حزم سـماه نكت الإسـلام فيه دواهي، فجردت عليه نواهي".

134 – هل للموت آلام أم لا؟ : رسالة صغيرة نشرها محققة د. إحسان عباس في رسائل ابن حزم.

135 – اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس، وسـائر المشـركين: ذكره ابن حزم في الفصـل ج 3/ ص 150 والذهبي في السـير ج 18/ 195 وأفاد أنه في مجلد، وابن عقيل في مؤلفات ابن حزم المفقودة.

دلالات مؤلفات ابن حزم:

1 – تعدد مجالات معرفته، واطلاعه الواسع جعله يؤلف في عدة فنون.

2 – كثير من مؤلفاته كانت للذب عن منهج أهل الظاهر والتأصيل له.

3 – قد يؤلف في الموضوع الواحد أكثر من كتاب بين مطول ومختصر.

4 – تعتبر مؤلفاته إحدى النوافذ التي نرى من خلالها طبيعة الحياة الأندلسية من سياسة واقتصاد واجتماع، وأضحت مورداً للباحثين في تاريخ الإسلام في الأندلس.

5 – كثير من مصنفاته كانت نتيجة الجدل الدائر في الأندلس في الأصول والفروع.

6 – يمكن أن نستشف من خلال مؤلفاته بعضاً من سيرته الذاتية ومراحل حياته حيث يتحدث عن نفسه كثيراً إظهاراً للنعمة، وتبياناً لمكانته العلمية.

7 – ابتكار ابن حزم لموضوعات جديدة لم يسبقه إليها أحد.[1]

8 – يعتبر الصدق هو أبرز سمة لهذه المؤلفات، فابن حزم كتبها دفاعاً عن مبادئ يؤمن بها. وهو صادق مع نفسه في كل ما كتب، لأنه لم يكتب ملقاً لأحد أو بغية كسب دنيوي، بل إن كتبه لم يرض عنها أكثر الخاصة والعامة في الأندلس، وقد تكالبوا عليها أو حرقوها لمخالفتها لمعارفهم ومناهجهم.[2]

9 – حَفِظت مؤلفات ابن حزم تراثاً فقهياً عظيماً، أوشك أن يضيع، لولا أن لطف الله تعالى، فهيأ له رجالا، وأحسب ابنَ حزم منهم – حفظوه في كُتب صارت بَعْدُ دواوين الإسلام، وكعبة علمائه الأعلام.[3]

10 – اهتم كثير من الباحثين قديماً وحديثاً من مسلمين ويهود ونصارى، عرباً وعجماً بمؤلفات ابن حزم وترجموا بعض مؤلفاته إلى لغاتهم.

11 – يتجلى لقارئ كتبه إيمانه القوي المتين الصادق بالله تعالى وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم. وموافقتها لمقتضيات العقول السليمة، وبطلان ما عداها من الملل والأهواء والنحل، إيماناً قائماً على الدرس العميق المقارن والاطلاع الواسع.[4]

---

(1) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 107.

(2) المصدر السابق: 108.

(3) مقدمة كتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس.: 141/1.

(4) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 108.

12 – تمتاز مؤلفاته باستقلال فكري في نطاق النص القرآني والحديث النبوي الثابت وإجماع الصحابة، وعدم مبالاته بعد ذلك بمخالفة من خالف وموافقة من وافق كائناً من كان. وبالتالي فقد ضمت هذه المؤلفات آراء طريفة شاذة في بعض الأحايين.[1]

13 – فيها دلالة واضحة على إيغال ابن حزم في الاستكثار والتفنن من علوم الشريعة حتى نال منها –كما يقول– القاضي صاعد– ما لم ينله أحد قط بالأندلس قبله، وقد صنف فيها مصنفات كثيرة العدد شرعية المقصد معظمها في أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذي ينتحله وطريقه الذي يسلكه.[2]

14 – كما تدلنا مؤلفاته على مقدرة عقلية عجيبة في الفهم الدقيق الشامل، وفي الاستنباط والاستنتاج، وفي نقد آراء الآخرين ومجادلتهم ومناظرتهم، وهي خاصة عقلية لا تفارقة، فلا نكاد نجده مرة نائم العقل أو مسترخي الذهن أو مستسلماً للنقل، فهو ليس جماعة من هنا ومن هنا، يحشد ما يحفظ ويقرأ، وإنما هو حاضر العقل يقظ الذهن ناقد بصير. فهو –بهذا– مرجع من المراجع العظيمة في تعلم الأسلوب العلمي في التفكير والتقدير ووزن الأمور وتربية الملكة النقدية.[3]

15 – ولا غرو أمام كل هذا –أن يعتبر الدكتور عمر فروخ ابن حزم الأندلسي بداية المرحلة الأخيرة في تاريخ الفكر العربي وهي تمثل: "ذروة التفكير العقلي والاجتماعي" الذي يبدأ "بابن حزم" وينتهي "بابن خلدون" المتوفى سنة 808هـ.[4]

---

(1) المصدر السابق نقلاً عن محمد إبراهيم الكتاني مقال: ابن حزم، مجلة (الثقافة العربية) العدد الأول الرباط.

(2) معجم الأدباء: 1651/4.

(3) د. طه الحاجري: ابن حزم صورة أندلسية: 10–11.

(4) تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون لعمر فرُّوخ: 25.

المبحث التاسع:

وفاته

بعد حياة زاخرة بالمحن والمصـــائب، التي لم يســـتذل لها، ولا انقادت له، انتهى به المطاف إلى قريته "منت ليشـــم" من أعمال مدينة لبلة، فلبث هناك "يبث علمه فيمن ينتابه ببادیته تلك من عامة المقتبسـين منه، من أصـاغر الطلبة الذين لا يخشـون فيه الملامة، يحدثهم ويفقههم ويدارســـهم، ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف، والإكثار من التصنيف حتى كمل من مُصنفاته في فنون العلم وقر بعير".[1]

وما زال ابنُ حزم على تلك الحال إلى أن توفي عشـــية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شـعبان سـنة سـتٍّ وخمسـين وأربعمائة. فكان عمره رحمه الله إحدى وسـبعين سـنة وعشـرة أشهر وتسعة وعشرين يوماً.[2]

ونقل أبو بكر محمد بن طرخان التركي عن أبي محمد عبد الله بن العربي أن ابن حزم توفي في جمادى الأولى ســـنة ســـبع وخمســـين وأربعمائة،[3] لكن القول الأول هو الصواب الذي عليه إجماع المؤرخين. وقال رحمه الله يَنْعي نفسه حينما أحسَّ بدنوِّ أجله:

كـأنـك بـالزّوار لي قـد تبـادروا ... وقيـل لهم: أودى علي بن أحمـد

فيارب محزون هناك وضـــاحك ... وكـم أدمـع تُـذْري وخـدّ مـخـدد

عفـا الله عني يوم أرحـل ظـاعنًـا ... عن الأهل محمولا إِلَى ضـيق ملحد

فوا راحتي إن كـان زادي مقـدمـا ... ويـا نصـــبي إن كنت لم أتزود[4]

---

(1) معجم الأدباء: 1655/4. والذخيرة لابن بســـام: 169/1. وســـير أعلام النبلاء: 201/18. والوافي بالوفيات: 96/20.

(2) الصلة: 396. ونفح الطيب: 78/2. ووفيات الأعيان: 328/3. وسير أعلام النبلاء: 211/18.

(3) معجم الأدباء: 1652/4. وطبقات علماء الحديث: 352/3. وتذكرة الحفاظ: 231/3.

(4) معجم الأدباء: 1657/4. والوافي بالوفيات: 97/20.

الفصل الثاني

عصر الإمام ابن حزم

ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاقتصادية.

المبحث الثالث: الحالة الاجتماعية.

المبحث الرابع: الحالة العلمية.

المبحث الأول:

الحالة السياسية

عاش ابن حزم رحمه الله تعالى بين سنتي 384 – 456هـ وهي الفترة التي شهدت الأندلس أفول نجم الخلافة، ومجيء دول الطوائف والتنازع على الإمارة.

ويمكن أن نقسم عصر ابن حزم إلى زمنين، الأول: ما قبل الفتنة البربرية، أي من سنة 384هـ إلى 399هـ، والثاني: ما بعد الفتنة، أي من سنة 399هـ إلى سنة 456هـ.

أما **القسم الأول**: فقد كانت مقاليد الحكم بأيدي هشام بن الحكم الذي مات أبوه وخَلَفه في العاشرة من عمره، فقامت على رعايته أُمُّهُ صُبح، التي نجح محمد بن أبي عامر المنصور القحطاني المعافري في استمالتها بمهارته وذكائه.

وقد استطاع ابن أبي عامر أن يخوض بحور الفتن والدسائس التي كانت سائدة، وأن يخرج إلى الشاطئ ظافراً، وأن يتسنم ذروة الحكم الحقيقي للأنندلس هو وأسرته من بعده فترة تزيد على ثلاثة عقود، بحيث طغى نفوذ العامرية خلال هذه الحقبة على الخلافة الأموية وإن كان الحكم باسمها.[1]

وقد نجح المنصور بن أبي عامر في نشر الأمن، وحزم الأمور، وأعادة الهيبة إلى دولة الإسلام في الأندلس، إذ قام بأكثر من خمسين غزوة طوال حكمه البالغ قريباً من ستٍّ وعشرين سنة لم يُهزم فيها قط.[2]

ولقد تمكن المنصور بن أبي عامر من القضاء على خصومه، والظهور عليهم، فدانت له الأندلس، وأمنت به، ولم يضطرب عليه شيء منها أيام حياته، لعظيم سياسته وهيبته، ومع ذلك فقد أساء حينما أزال هيبة الخلافة الأموية من نفوس الناس، بتسلطه عليها، وجعلها شعاراً لا معنى له، ودولة لا سلطان لها، وعرشاً لا حكم له، كما أساء مرة

---

(1) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 15.

(2) الإحاطة: 58/2. وجذوة المقتبس: 79. والمعجب: 37. والمغرب: 199/1.

أخرى حينما جرى على سنن الناصر في اتخاذ البربر والصقالبة والمأجورين والمرتزقة أعواناً وأنصاراً وصنائع من دون العرب. ولعل هذا كان من أكبر الأسباب فيما أصاب الأندلس بعد ذلك من نكبات الفتنة التي استمرت من 399هـ وحتى 422هـ، حيث انتهى الأمر بسقوط دولة بني أمية وتبعه دخول الأندلس عصر اضمحلال سياسي، وهو عصر الطوائف.[1]

وتقلد الإمارة بعد المنصور ابنه المظفر أبو مروان عبد الملك بن محمد، فجرى في الغزو والسياسة، والنيابة عن هشام المؤيد، وحجابته مجرى أبيه، وكانت أيامه أعياداً دامت سبع سنين إلى أن مات، والذي بموته تغيّرت الدولة العامرية حيث انتهت سنة 399هـ.

والملاحظ أن هذه الفترة تُعتبر من أحسن فترات الأندلس استقراراً سياسياً عامّة، وخاصّة عاصمتها قرطبة موطن ابن حزم ومكان نشأته.[2]

أما **القسم الثاني** من عصر ابن حزم فهو عصر ما بعد الفتنة، فبعد سقوط دولة بني عامر عاشت الأندلس وقرطبة فترة الفتنة التي امتدت من سنة 399هـ وحتى 422هـ، ويكفي للدلالة على ما تميزت به هذه الفترة من قلق واضطراب كبيرين أنه تقلّب على الأمر فيها عشرة حكّام من الأمويين،[3] وبعضُهم من بني حمّود الذين استولوا على السلطة في قرطبة سنة 406هـ وأخذوا يعبثون بالحُكم فيُولّون ويعزلون كما يشاءون، ويطلقون من الألقاب ما يحلو لهم، وبديهي أن تولّي بعض الخلفاء الحكم أكثر من مرة كان بتأثير الفتن الدائرة وأسلوب الانقلابات الدموية.

وقد انفكت عروة الدين من النفوس، بعد أن تفككت مشروعية الحكم فأصبح الأمر صراعاً جنسيّاً بين عرب وبربر وصقالبة، واستعان بعضهم بالنصارى على بعض.[4]

---

(1) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 16. ومقدمة الإعراب عن الحيرة والالتباس للدكتور محمد رستم: 23/1.

(2) خالد الرباط: مقدمة كتاب المحلى: 68.

(3) وهم: محمد الثاني بن هشام، وسليمان بن الحكم، وهشام الثاني، وعبد الرحمن الرابع، وعبد الرحمن الخامس ابن هشام، ومحمد الثالث بن عبد الرحمن.

(4) المرجع السابق، نقلاً عن د. علي حبيبة: مع المسلمين في الأندلس: 221-340. ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف: 20-21.

ويصف ابن حزم تلك الأزمات التي تعاقبت على الأندلس بعد سقوط الدولة العامرية وبروز ملوك الطوائف بأنها: فتنة سوء أهلكت الأديان إلا مَن وقى الله... اللهم إنّا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم وبعمارة قصور يتركونها عنا قريب، عن عمارة شريعتهم اللازمة في معادهم ودار قرارهم وبجمع أموالٍ ربما كانت سبباً إلى انقراض أعمارهم وعوناً لأعدائهم عليهم عن حياطة مِلَّتهم التي عزوا بها في عاجلتهم، وبها يرجون الفوز في آجلتهم...[1]

وكانت بداية الفتنة عندما توفي المظفر أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أبي عامر، فتولّى بعده أخوه عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشنجول، وكان نحسا على نفسه، وعلى أهل الأندلس، إذ أقدم على تنصيب نفسه وليا للعهد بعد هشام الثاني، وتم له ذلك بمرسوم صدر في شهر ربيع الأول سنة 399 هـ: ولم تحمد سيرة عبد الرحمن، إذ انكب على لهوه وشَرَابِهِ، وقرب إليه بطانة السوء التي زينت له ذلك، وأعانته عليه.[2]

فوثب على الحكم أحد أحفاد عبد الرحمن الناصر ويدعى محمد بن هشام ابن عبد الجبار، وقاد ثورة استولى بها على قصر الخلافة، ورغب إلى هشام المؤيد خلع نفسه فبادر هشام بالقبول خشية البطش به، ووليها محمد بن هشام، وتلقب بالمهدي بالله.[3]

وسولت للمهدي نفسه أن يزيل من نفوس الناس التعلق بإعادة الأمر إلى هشام المؤيد، فادعى موته، ودعا بالفقهاء وعلية القوم، فشهدوا جنازة رجل على أنه الخليفة، وكانت تلك الحادثة سنة 399 هـ، وكان ابن حزم ووالده ممن حضرها، وأورد الأول أخبارها في "الفصل". ولم يطمئن الأمر للمهدي غير قليل، حتى نشبت بينه وبين البربر فتنة أودت بحياته، وأعادت الخليفة هشام بن الحكم، وكان ذلك على رأس القرن الرابع الهجري.[4]

---

(1) رسالة الرد على ابن النغريلة لابن حزم وهي ضمن رسائل ابن حزم بتحقيق إحسان عباس: 41/3.

(2) انظر تفصيل ذلك في دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان: 624/1.

(3) تاريخ ابن الوردي: 310/1، ونظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس: 141/1.

(4) دولة الإسلام في الأندلس: 644/1.

ويصف لنا ابن بسام نقلاً عن ابن حيان الأعوام السبعة الأولى للفتنة بأنها كانت "شداداً نكدات، صعاباً مشئومات، كريهات المبدأ والفاتحة، قبيحة المنتهى والخاتمة؛ لم يعدم فيها حيف، ولا فورق فيها خوف؛ ولا تم سرور، ولا فقد محذور؛ مع تغير السيرة، وخرق الهيبة، واشتعال الفتنة، واعتلاء المعصية، وظعن الأمن، وحلول المخافة: دولة كفاها ذماً أن أنشأها شانجه، فقشعها أرمقند، وثبتتها الجلالقة، ومزقتها الإفرنجية؛ ودبرها فاجر شقي، ووزر لها خب دني؛ فتمخضت عن الفاقرة الكبرى، وآلت بمن أتى إلى ما كان أعضل وأدهى، مما طوى بساط الدنيا، وعفى رسمها، وأهلك أهلها".[1]

ولم يلبث هشام المؤيد أن قتل، واختار البربر سليمان بن الحكم بن سليمان، فبايعوه خليفة ولقب المستعين.[2]

وفي سنة 422 هـ أعلن أهل قرطبة وعلى رأسهم أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور إلغاء الخلافة وبدأ بالأندلس عهد جديد أطلق عليه "عهد دول الطوائف".[3]

وانتشر عقد الأندلس بين عناصر متصارعة ثلاثة وهي: البَرْبَر في الجنوب، والصقالبة في الشرق، والعرب في بقية الأطراف الأخرى، وتوزع هؤلاء في ممالك ودول في أرجاء الأندلس في نحو عشرين دولة وهي:[4]

1 – موالي العامرية في شرق الأندلس وهم: خيران العامري في المرية ومرسية، ومجاهد العامري وابنه في دانية.

2 – بنو زيري في جنوب الأندلس: في غرناطة ومالقة، ثم بسط هؤلاء بعد ذلك نفوذهم على قبرة وجيان ومالقة وبطليوس وطليطلة.

3 – بنو عباد أصحاب إشبيلية، الذين بسطوا نفوذهم على حساب إمارات أخرى.

---

(1) الذخيرة لابن بسام: 36/1.

(2) جذوة المقتبس: 17. وبغية الملتمس: 21. والمعجب: 39.

(3) انظر ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 19. ودولة الإسلام في الأندلس: 21/2. وقصة الحضارة لوليام جيمس ديورَانت: 290/13.

(4) دول الطوائف: محمد عبد الله عنان: 16.

4 – بنو هود أصحاب سرقسطة، وبنو القاسم الفهريون في البونت، وبنو حمود الحسنيون بالجزيرة.

5 – بنو جهور موالي بني أمية في قرطبة، وَتَضُمُّ إماراتهم مُدناً أخرى مثل جيان وبياسة وأيذ؛ وقد سقطت قرطبة بعد أربعين سنة من حكمهم في يد بني عباد، وزالت – بالتالي–دولة بني جهور.[1]

وهكذا انقسم ذاك الفردوس الذي كان منجمعا تحت راية واحدة، وتنافس ملوك الطوائف على السلطة، وطمع بعضهم فيما تحت يد الآخر، وثارت بينهم حروب وفتن، واستنصر بعضهم على بعض بالنصارى في الشمال، ولقد وصف ابن الحزم حال الأندلس أيام الطوائف فقال في سياق بليغ، "اجتمع عندنا بالأندلس في صُقْعٍ واحد خلفاء أربعة، كل واحد منهم يخطب له بالخلافة بموضعه، وتلك فضيحة لم ير مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام كلهم يتسمى بالخلافة، وإمارة المؤمنين، وهم: خلف الحصري بإشبيلية على أنه هشام، من بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام، وشهد له خصيان ونسوان، فخطب له على منابر الأندلس، وسفكت الدماء من أجله، وحمد بن القاسم خليفة بالجزيرة، ومحمد بن إدريس خليفة بمالقة، وإدريس بن يحيى على ببُشتر".[2]

وقال المقري: " ... وانقطعت الدولة الأمويّة من الأرض، وانتثر سلك الخلافة بالمغرب، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف، وانتزى الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات، واقتسموا خطّتها، وتغلّب بعضٌ على بعض، واستقل أخيراً بأمرها منهم ملوك استفحل أمرهم وعظم شأنهم، ولاذوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم أو أن يبتزهم ملكهم ... ".[3]

---

(1) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 20–21. ومقدمة الدكتور محمد رستم لكتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس: 25/1. وانظر نفح الطيب: 438/1 وما بعدها.

(2) نقطة العروس في تاريخ الخلفاء، ضمن رسائل ابن حزم: 97/2. وتاريخ أسبانيا الإسلامية، أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام للسان الدين ابن الخطيب: 142 – 143.

(3) نفح الطيب: 438/1.

لقد وجد بين هذه الإمارات نوع من التنافس على السلطة، والتوسع على حساب بعضهم البعض، واتخاذ الألقاب والنعوت، بما استجلب نوعاً من السخرية منهم.[1] وقد شوهد من بين حكام هذه الإمارات ست دول يحمل رئيس كل منها لقب ملك، وهذه الدول هي: قرطبة، وإشبيلية، وقرمونة، واستجة، ومالقة، والجزيرة الخضراء، وغرناطة.[2]

فاستقلال هذ الإمارات كان استقلالاً شكلياً، فقد كان كثير منها يدفع الجزية للأذفونش ملك قشتالة.[3]

وكان انقسام الأندلس إلى دويلات وطوائف، سببا ممهداً لانهيار الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأندلسية،[4] وذلك هو الذي أومأ إليه القاضي عياض عندما قال في سياق حديثه عن دول الطوائف: "وقد نشأ بينها من المفاسد ما أعوز دلعه، وتعدد وتره وشفعه، واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه".[5]

ولقد عاين ابن حزم بعض هذه الحوادث، فَأَثَّرَتْ في نفسه تأثيرات متشعبة النواحي:

أولها: شعور الألم والحزن على قرطبة؛ التي كانت فردوس الأندلس ونور المعرفة فيها، ولقد سجل ذلك الألم في رسالته؛ فقد ذكر قصور أسرته عندما استخبر خبرها بعد ذلك الخراب فقال: "ولقد أخبرني بعض الوُرَّاد من قرطبة –وقد استخبرته عنها– أنه رأى دورنا ببلاط مغيث في الجانب الغربي منها، وقد امحت رسومها، وطمست أعلامها، وخفيت معاهدها، وغيرها البلَى، وصارت صحاري مجدبة بعد العمران، وفيافي موحشة بعد الأنس، وخرائب منقطعة بعد الحسن، وشعابا مفزعة بعد الأمن، ومأوى للذئاب، ومعازف

---

(1) يقول ابن رشيق القيرواني حاكياً حالهم:

ممّا يزهّدني في أرض أندلسٍ ... تلقيب معتضدٍ فيها ومعتمد

ألقاب مملكةٍ في غير موضعها ... كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد

انظر "نفح الطيب" ص: 214/1.

(2) ابن حزم الأندلسي لعويس: 21. نقلاً عن سيديو: تاريخ العرب لعام 278.

(3) ابن حزم الأندلسي لعويس: 21. وابن حزم لأبي زهرة: 85.

(4) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 19. ومقدمة الإعراب عن الحيرة والالتباس: 27/1. أبو زهرة: ابن حزم ص84.

(5) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري التلمساني: 60/1.

للغيلان، وملاعب للجان، ومكامن للوحوش، بعد رجال كالليوث، وخرائد كالدمى، تفيض لديهم النعم الفاشـية –تبدد شـملهم، فصـاروا في البلاد أيادي سـبا، فَكأن تلك المحاريب المنمقة والمقاصير المزينة التي كانت تشرق إشراق الشمس، ويجلو الهموم حسن منظرها، حين شـملها الخراب، وعمها الهدم، كأفواه السـباع فاغرة، تؤذن بفناء الدنيا، وتريك عواقب أهلها، وتخبرك عما يصـــير إليه كل من تراه قائما فيها، وتزهد في طلبها بعد أن طالما زهدت في تركها، وتذكرت أيامي بها ولذاتي وشـهور صـباي لديها، مع كواعب إلى مثلهن صـبا الحليم، ومثلت لنفسـي كونهن تحت الثرى، وفي الآفاق النائية، والنواحي البعيدة، وقد فرقتهن يد الجلاء، ومزقتهن أكف النوى، وخيل إلى بصـري فناء تلك النصـبة بعدما علمته من حسـنها، وغضـارتها، والمراتب المحكمة التي نشـأت فيما لديها، وخلاء تلك الأفنية بعد تضـايقها بأهلها، وأوهمت سـمعي صـوت الصـدى والهام عليها، بعد حركة تلك الجماعات التي ربيت بينهم فيها، وكان ليلها تبعا لنهارها في انتشـــار ســـاكنها والتقاء عمارها، فعاد نهارها تبعا لليلها في الهدوء والاستيحاش –فأبكى عيني، وأوجع قلبي، وقرع صـفاة كبدي، وزاد في بلاء لبي، فقلت شعرا منه:

لئن كان أظمانا فقد طالما ســـقى وإن سـاءنا فيها فقد طالما سـرّا[1]

ثانيها: أنه رأى استفحال أمر النصـارى، وضـعف أمر المسلمين، وهو المؤمن التقي، والعالم المحدث، الذي يرى أن العزة لله ولرســوله وللمؤمنين، وقد رأى أن ســبب ذلك هو اضـطراب حبل الأمور وتفرق الكلمة، وذهب الوحدة، وأن علاج الأمر هو وجود شـخصـية تجمع المتفرق، وتلم الشـــعث، وتلتقي حولها القلوب، وقد رأى أن أهل الأندلس لم يجتمعوا إلا على بني أمية، وأن البربر هم الذين خربوا البلاد من قبل ومن بعد،[2] فنزعت نفســـه إليهم، وله بهم من قبل صلة وولاء.

ثالثها: أن ابن حزم من أسـرة لها في السـياسـة شـأن، فأحس في نفسـه أن عليه واجباً نحو دينه وقومه هو أن يحمل العبء، وأن يترك الدرس، ولو إلى حين، فتقدم لذلك، ولما ظهر أحد الصالحين من بني أمية في بلنسية حوالي سنة 408هـ ناصره وعاونه، وكان له

(1) طوق الحمامة: 227–228.

(2) يرى الدكتور عبد الحليم عويس أن الجميع يتحمل مسئولية الفتنة لا البربر وحدهم. انظر: ابن حزم الأندلسي: 18.

وزيراً، بل ناصـــر أكثر من واحد ممن توالوا حاملين العبء من بني أمية. فكان وزيراً لعبد الرحمن المستظهر، ثم لهشام المعتد بالله. ثم نبذ هذه الطريقة وعاد إلى العلم يغترف من مناهله.[1]

هذه هي حال الأندلس في عصـــر ابن حزم، ملك قوي أولاً لم يذقه إلا في نعومة أظفاره، ثم اضطراب وفتن عكرت صفو شبابه ثانياً، ثم انقسام وانتثار للعقد، وخضوع وصغار لأعداء الإسلام، حتى دفعت الإتاوات لطاغية النصارى واستمرت تلك الحال حتى وفاته.[2]

وليس بعجيب إذن أن ينصرف ابن حزم عن السياسة. لقد زهده فيها في شبابه فتن البربر، واستعانة المتزعمين بالنصارى، ولما أراد أن يصلح الأمر بمعاونته بعض الأمراء الأمويين، ولم يواته الزمان، فانصرف عن السياسة إلى العلم فكان للعلم وحده نحواً من ست وثلاثين سنة.[3]

وأخيراً لا بد قبل أن نترك الحديث عن عصر ابن حزم من الإشارة إلى أمرين:

أحدهما: أن احتكاك المســـلين بالنصـــارى في الأندلس في تلك الأيام جعله يدرس الديانات المختلفة دراسة فاحص، ويتعرف أوجه التحريف في الديانة النصرانية، ويجادل النصارى عن بينة، ويعرف مصادرهم ومواردهم، والذي يعتقدون اتصاله بدعوة المسيح الأولى عليه السلام.

الأمر الثاني: أنه من الطبيعي ألا ينظر ابن حزم نظرة إكبار إلى الأمراء الذين كانوا يستعينون بالنصارى، أو يمدون أيديهم إليهم بالولاء يستجدونه، أو بالإتاوة يدفعونها، فقد كان لا محالة ينظر إليهم بازدراء، لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة وآثروا الذلة على العزة، وآثروا الدنية على الدين، ولذا كان بينهم وبينه عداوة كان من مظاهرها إحراق كتبه، وكان

(1) ابن حزم لأبي زهرة: 84-85.
(2) المصدر السابق: 85.
(3) المصدر السابق: نفس الصفحة.

من مظاهرها أن جفته الديار حتى آوى إلى ضيعته التي ورثها، فأقام فيها يدرس ويصنف، يكتب الرسائل ويكاتب العلماء ويراسلهم، حتى أدى مهمته، وانتقل إلى جوار ربه.[1]

(1) المصدر السابق: 86.

المبحث الثاني:

الحالة الاقتصادية

من المعلوم أن الحالة الاقتصـــادية لمجتمع من المجتمعات مرتبطة بالأوضـــاع السياسية، فكلما كان الوضع مستقراً، والأمن مستتبّاً كانت الحالة الاقتصادية في تحسن، والإنتاج في تزايد ســـواء في الزراعة أو الصـــناعة أو التجارة، أما في حالة عدم الأمن وانتشـــار الفتن فكل ذلك ســـيشـــهد تراجعاً، ويكون وضـــع الناس ســـيئاً، وتشـــهد الحالة الاقتصادية تراجعاً.

وقد اختلفت الحالة الاقتصادية في قرطبة –مدينة ابن حزم–خاصّة وبقية المدن عامّة نظراً للتقلبات السياسية، فخلال بداية عصر ابن حزم رحمه الله تعالى وتحديداً عصر بني عامر، كان الثراء هو السـمة الغالبة لذلك المجتمع نظراً لحالة الاسـتقرار، ونشـاط الزراعة والصناعة والتجارة، وحركة الجهاد المستمرة التي كانت غالباً ما ترجع بالغنائم الكثيرة.

وعلى العكس من ذلك خلال عصـــر الفتنة وملوك الطوائف، فنتيجة لتدهور الأخوال السياسية، فإن الحالة الاقتصادية كانت متدهورة، فساءت الأحوال، وضاقت سبل الرزق، وقلّت الموارد، وذهب ذلك الثراء.

وقد صور لنا ابن حزم نفسه الوضع في قرطبة وأحوازها، وحالة الأمن والعبث والظلم الذي ســادها، فيقول: "وأما ما ســألتم عنه من أمر هذه الفتنة وملابســة الناس بها مع ما ظهر من تربص بعضـهم ببعض، فهذا أمر امتحنا به، نسأل الله السلامة، وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب. وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصـن في شـيء من أندلسـنا هذه، ولها عن آخرها، محارب لله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساد؛ للذي ترونه عياناً من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضـــارهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام، معتذرون بضرورة

لا تبيح ما حرم الله، غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيهم. فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم...".[1]

ومن الصعب والحالة هذه أن يكون الاقتصاد مزدهراً، لا سيما والحروب بين ملوك الطوائف قائمة، وكثيراً ما يضرب بعضهم الحصار على مدن بعض.

وكانت الزراعة مزدهرة بالأندلس في عصر بني عامر، وقد نجح الأندلسيون في تحويل وديان الأندلس إلى مهاد ورياض نضرة، وفي إقامة الزراعة على أسس علمية. وكان لشغفهم بإنشاء الحدائق والبساتين وتربية الزهور أثر في ذلك.[2]

وطبيعي أن قرطبة كانت تحظى بالنصيب الأوفر من هذه المزارع، ويؤكد لنا هذا أن قرطبة قامت وسط سهل فسيح يمتد على ضفتي الوادي الكبير أميالاً بعد أميال، ويحدثنا ابن سعيد المغربي، أن أهل قرطبة كانوا إذا رأوا رجلاً يتسول عنفوه وشتموه، فلم يكن أمامه إلا أن يخرج إلى الأرياف الواسعة المحيطة بقرطبة، ويلتمس قطعة من الأرض يزرعها ويعيش منها، وكان نظام في المزارعة يعرف بالمناصفة، أي تناصف الغلة بين صاحب الأرض وزارعها، وكانت الأرض كثيرة حول قرطبة لدرجة أن أصحاب الأرض كانوا يجتهدون في البحث عمن يزرعها، وكانوا يقبلون –مضطرين– ربع الغلة ممن يزرع لهم أرضهم.[3]

وأما الصناعات المعاصرة، فقد كانت رائجة في عهدي الأمويين وبني عامر، وكانت تضم كثيراً من الصناعات المهمة مثل صناعة الحديد، والنحاس. والزجاج، والنسيج فضلاً عن استخراج معدن البلور من ناحية قصر منتور من أعمالها.[4]

---

(1) رسائل ابن حزم: 173/3؛ ضمن رسالة التلخيص لوجوه التخليص.

(2) الطوائف لمحمد عبد الله عنان: 441.

(3) ابن حزم الأندلسي؛ عبد الحليم عويس: 24. نقلاً عن د. حسين مؤنس: قرطبة، مقال بمجلة العربي عدد 95.

(4) انظر: مخطوط في ذكر بلاد الأندلس رقم 558 ورقة 8 الخزانة الملكية بالرباط بواسطة ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ص24.

وكانت تجارة الأندلس نافقة، وأسـواقها بها عامرة، وكان لكل حرفة شـارع، أو "درب" مثل سوق الغزل، وسوق الجباسين، وسوق الوراقين وسوق الحصارين، وكانت البضائع تُجلب إلى هذه الأسواق من إفريقية والمغرب، وقد مُهِّدت السبل وأمنت الطرق.

ولما ضَرَب الدَّهرُ ضرباته، كسدت التجارة، وأغلقت تلك الأسواق، وفرضت المكوس على الناس، وتسلط رجال الطوائف على الأموال، فاشتد بالناس الجَهْدُ، وعظم الخطب.[1]

وفي هذا العصر العامري كانت ميزانية الدولة شيئاً عظيماً... فيروى أن جباية قرطبة انتهت في أيام المنصـــور بن أبي عامر والخلفاء الأمويين إلى ثلاثة آلاف ألف دينار. ثلاثة ملايين دينار.[2]

وفي هذا العصر قسّم الحكام قرطبة إلى مدن خمس يتلو بعضها بعضاً، وبين المدينة والمدينة سـور حاجز؛ وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسـواق والفنادق والحمامات وسـائر الصناعات.[3]

وخلال عهد عبد الرحمن الناصر، اتسعت المدينة، فنشأ خارج السور الشرقي ربض جديد يشـبه المدينة الملحقة، وسـمي بالمدينة الشـرقية، أو الشـرقية فقط. وكان يتكون من ستة أحياء هي: شبلار، وقرن بريل، ومنية عبد الله، ومنية المغيرة، والبرج، والزاهرة.

ثم اتسعت المدينة من الغرب خارج السور أيضاً، فنشأت سبعة أرباض جديدة هي: الرقاقون تجار الورق ومسـجد الرقاقين، ومسـجد الشـفاء، ومسـجد مسـرور، وبلاط مغيث، وحمام الأبيري، والسجن القديم.[4]

---

(1) د. محمد رستم: مقدمة الإعراب عن الحيرة والالتباس: 33/1.

(2) انظر: مخطوط في ذكر بلاد الأندلس رقم 558 ورقة 34 الخزانة الملكية بالرباط بواســطة ابن حزم الأندلســي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ص26.

(3) صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار للحميري: 153.

(4) انظر: د. حســين مؤنس، مقال قرطبة بمجلة العربي عدد 95؛ بواســطة ابن حزم الأندلســي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ص27-28.

وفي ذلك الجانب الغربي وجد حي كامل –قريب من باب العطارين– متخصص في بيع الزهور يسمى ربض حوانيت الريحان.[1]

وقد امتدت قرطبة حتى وصلت إلى تل الرصافة. وهذا التل يقع شمال قرطبة بأربعة كيلو مترات.[2]

هكذا كانت قرطبة، عروس الأندلس، وزهرة مدنها، ولما نجمت الفتنة، خَرِبَتْ قرطبة، وذهب رونقها وجمالها، فلم تزل تحط وتخرب، وكما عُمِّرت بالعدل، فإنها خربت بالجور.

وصارت قرطبة كإحدى المدن المتوسطة، إلى أن ملكها النصارى في الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة للهجرة.[3]

---

(1) عبد الحليم عويس: مرجع صابق ص28.

(2) المصدر السابق. وللمزيد حول الجمال العمراني في الأندلس يُنظر كتاب نفح الطيب للمقري، وصفة جزيرة الأندلس للحميري، ومعجم البلدان لياقوت الحموي.

(3) انظر: مخطوط في ذكر بلاد الأندلس رقم 558 ورقة 30 الخزانة الملكية بالرباط بواسطة ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ص29.

المبحث الثالث:

الحالة الاجتماعية

تعددت فئات المجتمع في الأندلس وتنوعت ما بين عرب وبربر وصقالبة وإسبان، فالعرب هم الذين حملوا الإسلام إلى الجزيرة، فدخلوها مع موسى بن نصير، أو جاؤوا إليها في أفواج أيام عبد الرحمن الناصر، وقد ذكرهم ابن حزم في "جمهرة أنساب العرب"، فوصف من منازلهم، ومراتبهم وأحوالهم. وكان هؤلاء العرب أقل عدداً، وأشد الفئات محافظة على الأصول، وَتَشَبُّثًا بالألقاب العربية.[1] وهم الذين كان لثقافتهم وللغتهم ولأخيلتهم ولصورهم البيانية الرائعة السلطان الكامل، لذلك كان للأندلس مظهر أدبي وفكري واحد، وحدته تلك اللغة السامية لغة القرآن.[2]

أما البربر، فقد كان منهم من له مقام مذكور في الفتح، وفيهم حدة طباع، وفيهم نفرة شديدة أحياناً، ولذلك كانوا وقود الفتن وموقديها، وفيهم من تهذبت طباعه وأرهفت أحاسيسه، فكان منهم إنتاج أدبي رائع.[3] ونظراً لقرب الأندلس من بلاد البربر فقد اتخذوا من جنوبها وغربها مثوى لهم، وشغلوا أنفسهم بالمهن الدنية، وفيهم من أدرك أسنى المِراتب والمناصب كِأبناء يحيى بن يحيى الليثي ومنذر بن سعيد البلوط وابن دراج القسطلي شاعر المنصور بن أبي عامر.

وازداد عدد الصقالبة في عهد الناصر لدين الله، والمنصور بن أبي عامر، واتُّخِذوا في خدمة القصور، لما عرف عَنْهُم قوة واحتمال.[4]

---

(1) انظر: دراسات عَنْ ابن حزم وكتابه "طوق الحمامة" للطاهر أحمد مكي: 13-14.
(2) ابن حزم لأبي زهرة: 92.
(3) المرجع السابق.
(4) انظر: الإسلام في إسبانيا: 37.

وأما الكثرة الغالبة من سُـــكَّان الأندلس، فمن الإســـبان الذين يســـميهم المؤرخون "المســـالمة"، ويطلقون على أبنائهم "المولّدين"، وكان منهم الحرفيون، وصـــغار التجار، ورجال الأعمال، وبعضهم كان يعمل في المزارع حول قرطبة.[1]

وهناك أيضاً نصارى ويهود ذميين، عاشوا في ظل الحكم الإسلامي بالأندلس آمنين على عقائدهم وثقافتهم.

وإن الغزوات الكثيرة التي غزاها المسلمون في جنوب فرنسا وغيرها من جزائر البحر الأبيض، وعودتهم بالســـبايا من هذه الحروب، وتلك الفتوح الكثيرة قد أوجدت طائفة من الجواري الحسان كان لهن شأن في المجتمع الأندلسي، فإنهن ثقفن ثقافة أدبية عالية، فأثرن كوامن النفس العربية المرهفة الحس نحو الجمال، والتي تجيد تصـــويره، فانطلقت خواطر الشعراء وجادت قرائح الأدباء، وانبثق بثق من العواطف الإنسانية؛ التزم بعضه الجادة، فلم يكن ســـيلاً طاغياً، وفي بعض النفوس انقلب إلى هوى جامح لم تحكمه زمام العقل وقيود الفكر، وجلال الشرع، فأسرفت واعتدت.[2]

وإذا كان سكان الأندلس من سلائل مختلفة فقد بدت فيهم خواص هذه السلالات. فقد جاء في "نفح الطيب" في وصف أهل الأندلس: "وأهل الأندلس عرب في الأنساب والعزة والأنفة وعلو الهمم وفصـــاحة الألســـن وطيب النفوس وإباء الضـــيم وقلة احتمال الذل والســـماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضـــوع وإتيان الدنية، هنديون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضـــبطهم لها وروايتهم، بغداديون في ظرفهم ونظافتهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحســـن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة أفكارهم ونفوذ خواطرهم، يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة... وهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاســـاة النصـــب في تحســـين الصـــنائع أحذق الناس بالفروســـية، وأبصـــرهم بالطعن

(1) انظر: دراسات عن ابن حزم: 15.

(2) ابن حزم لأبي زهرة: 92.

والضـــرب... صـــينيون في إتقان الصـــنائع العملية وإحكام المهن الصـــورية، تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها والنظر في مهماتها".[1]

لقد كانت اللغة العربية هي التي وحدت ذلك المفترق، وجمعته في ثقافة فكرية واحدة، ويظهر أن أهل الأندلس كان لسانهم في جملته لساناً فصيحاً لم تؤثر فيه العجمة،[2] ولقد قال أبو علي القالي البغدادي الذي وفد إلى الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصـــر في وصـــف اللغة العربية في الأندلس: "لما وصـــلت القيروان، وأنا أعتبر مَنْ أَمُرُّ به من أهل الأمصـــار فأجدهم درجات في العبارات، وقلة الفهم بحســـب تفاوتهم في مواضـــعهم منها بالقرب والبعد، كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصةً، ومقايسةً، فقلتُ إن نقص أهل الأندلس عن مقادير مَنْ رأيت مِن أفهامهم بقدر نقصـــان هؤلاء عمن قبلهم، فَأَحْتَاجُ إلى ترجمان في هذه الأوطان"، قال ابن بســام: "فبلغني أنه كان يصــل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق الأندلسي في ذكائهم، ويتخطى عنهم هذه المباحثة والمناقشة، ويقول لهم: إن علمي علم رواية، وليس علم دراية، فخذوا عني ما نقلت، فلم آل لكم أن صـــححت، هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بســـعة العلم وكثرة الروايات، والأخذ عن الثقات".[3]

وعندما كانت الدولة في قوتها، تملك زمام الأمور، وتمشي بالعدل الذي أقره الإسلام، كانت الطائفة الجنســـية خامدة، لكن عندما انفرط عقد الأندلس، وظهرت المظالم والاســـتغلال الســـياســـي من جانب بعض المغامرين لهذه الطائفيات أصـــبح هذا التعدد الجنسي بلاء دمر الأندلس، وأحالها إلى أرض صراع أو فوضى.[4]

وفي ظل الإســـلام تمتعت الطوائف غير الإســـلامية بتســـامح اعتبر نشـــازاً في نغمة الحياة الأوربية خلال العصـــور الوســـطى، حتى أن الطريق كان مفتوحاً أمام اليهود

---

(1) نفح الطيب: 3/151-152.

(2) ابن حزم لأبي زهرة: 94.

(3) الذخيرة لابن بسام: 1/14-15. ونفح الطيب: 3/154-155.

(4) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 37. نقلاً عن محمد عبد الوهاب خلاف: غرناطة في عهد ملوك بني زيري، رسالة ماجستير ص 14.

والنصارى للوصول إلى منصب الوزارة، فضلاً عن غيره من المناصب، وقد احتل بعضهم مراكز مرموقة حسدهم عليها المسلمون.[1]

وبين تلك الطوائف الجنسية والدينية وُجدت ظاهرة الاختلاط والاتصال عن طريق التصاهر وتبادل المنافع التجارية وغيرها في عهود السلم. كما أن التفاوت الاجتماعي كان ينتظمها كلها. ففي كلها وُجِد من ينتمي إلى الطبقة العليا ومَن ينتمي إلى الطبقة الوسطى، ومن ينتمي إلى الطبقة الدنيا.[2]

وكانت هناك أحياء ثلاثة مخصصة للطبقة العليا، هي الرصافة والزاهرة والزهراء. أما بقية الأرباض فكانت للطبقتين الوسطى والدنيا. وتقوم عظمة قرطبة الحقيقية على أهل الطبقة الوسطى الذين يقطنون بقية الأرباض، وإن كانت الأحياء القائمة على الضفة الغربية لنهر الوادي الكبير قد عُرفت بأنها أحياء الصناع والعمال والطلاب وصغار الفقهاء والموظفين والكتاب.[3] أي أن الغالب على سكانها الانتماء إلى الطبقة الكادحة وإن كان هذا لا يعني خلوها ممن ينتمون إلى الطبقة الوسطى.[4]

وهناك عنصر اجتماعي في الأندلس لم يكن في بلد من البلاد الإسلامية بمقدار ما كان فيه، وهو ظهور نساء كثيرات من الأديبات والشاعرات، حتى يكاد القارئ عندما يطلع على أخبارهن يظن أن هذا البلد الأمين قد رق طبع أهله، وحسن ذوقه إلى درجة أن كل من فيه كان شاعراً وناثراً، فالشعر يجري على ألسنة النساء كما يجري على ألسنة الرجال؛ ويتدفق من أفواه الفقهاء والمحدثين، كما يتدفق من أفواه الشعراء، وإن كان لكل صناعة من يجيدها وكل ما خصصته الحياة له.[5]

---

(1) ابن حزم الأندلسي لعبد الحليم عويس: 38 بتصرف.

(2) انظر: مقدمة المحلى لخالد الربّاط: 71. نقلاً عن طاهر مكي في كتاب "دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة": 23–26.

(3) أندلسيات (المجموعة الأولى والثانية) لعبد الرحمن علي الحجي: 81/1–82.

(4) ابن حزم الأندلسي لعويس: 38.

(5) ابن حزم لأبي زهرة: 95.

بل لقد وجدنا من الجواري الشـــاعرات عدداً كثيراً، كان من بينهن من يجدن العلوم، ويتكلمن فيها كلام المتخصـصـين المتفرغين لها. ومن أمثلة ذلك ما جاء في نفح الطيب عن جارية قد درست النحو واللغة:

"ومنهن العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب. سكنت بلنسية، وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة، لكنها فاقته في ذلك، وبرعت في العروض، وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشـرحهما، قال أبو داود سـليمان بن نجاح: قرأت عليها الكتابين، وأخذت عنها العروض، وتوفيت بدانية بعد سيدها في حدود الخمسين والأربعمائة، رحمها الله تعالى".[1] وإذا كان منهن المتخصـصـات في علوم اللغة ذلك التخصص فلا عجب إذا كان ابن حزم قد تلقى علومه الأولى على النساء.[2]

وفي ظل هذا المجتمع كانت المرأة الأندلسية واسعة النفوذ بقسط كبير من الحرية. ولا تقل المرأة الأندلسية عن المشرقية في مدى النفوذ السياسي، فكانت "عجب" ذات سلطان واسع في أيام هشام ابن عبد الرحمن وظلت تسيطر كثيراً في أيام عبد الرحمن ابنه، وكان لطروب جارية عبد الرحمن ادلال كثيرة عليه ولكنا لا ندري مدى أثرها في الحياة السياسية. وقد نقم الناس على القاضي محمد بن زياد خضوعه لامرأته "كفات"، لا لأن هذا الخضوع كان مستهجناً في حد ذاته، بل لأن القاضي يجب أن يكون فوق هذا المستوى. وفي أيام عبد الرحمن الناصر كانت "رسيس" مقربة إليه حتى أنه جعلها تخرج معه في موكبه وهي تلبس قلنسوة وتتقلد سيفاً، وشق قرطبة على هذه الحال حتى بلغ الزهراء، ولا ننس ما كان لصبح من النفوذ في أيام الحكم وفي عهد ابن أبي عامر.[3]

وبالتأكيد فإن ما أصاب الحياة الاجتماعية الأندلسية بعامة من علل قد أصاب المرأة أيضاً، ولن نسمع بعد ذلك عن "المرأة الفقيهة"، بل سنسمع عن نوع جديد من النساء، من

---

(1) نفح الطيب: 171/4.

(2) ابن حزم لأبي زهرة: 95-96 بتصرف.

(3) عصر سيادة قرطبة: 22.

أمثال ولادة بنت المســـتكفي، موازٍ للنوع الجديد الذي ظهر من الرجال، وذلك الذي يترك الأندلس تهوي إلى قاع محنتها بينما ينصرف إلى اللذات والمنافسات الرخيصة.[1]

لقد كان ذلك العصر مليء بالتناقضات، فحين نجد ابتذال المرأة باسم الفن، وقصور الأثرياء مثوى للغناء والرقص والموسيقى، والتنافس في اقتناء القينات، واللهو والمجون في متنزهاتها، نجد قرطبة خير المدن في إقامة الشـــعائر الدينية، فيقول ابن المقرئ: "قال والدي: ومن محاســنها ظرف اللباس، والتظاهر بالدين، والمواظبة على الصــلاة، وتعظيم أهلها لجامعها الأعظم، وكسر أواني الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها، والتستر بأنواع المنكرات، والتفاخر بأصــالة البيت وبالجندية وبالعلم، وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأشدّ الناس اعتناء بخزائن الكتب، صـار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسـة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، وينتخب فيها ليس إلاّ لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به".[2]

عاش ابن حزم في تلك المدينة التي جمعت بين تلك المظاهر المتضـــاربة العشـــرين سنة الأولى من حياته، وكان يعود إليه الفترة بعد الأخرى، وما يتنقل إلا لمثيلاتها من مدن الأندلس التي هي دونها في التستر والتورع، ولا شك أن هذا الجو الاجتماعي كان له أثر في نفس ابن حزم، كان من آثاره في نفســـه أن اجتمع فيه جفوة اللفظ أحياناً، مع رقة الطبع. وكان لذلك المجتمع أثره في تفكيره، فقد اتخذه مادة للدراســـة والتحليل والموازنات، وإن رســـالتيه "طوق الحمامة" ومداواة النفوس" مملوءتان بنتائج دراســـاته النفســـية لذلك المجتمع الذي كان يموج بالعناصر المختلفة والمنازع المتباينة، والمظاهر المتضاربة.[3]

---

(1) ابن حزم الأندلسي لعويس: 39.

(2) نفح الطيب: 462/1-463.

(3) ابن حزم لأبي زهرة: 99 بتصرف.

المبحث الرابع:

الحالة العلمية

كانت الحالة العلمية في ذلك العصر على العكس من الحالة السياسية، فقد كانت الحركة العلمية والفكرية والثقافية في نشاط وتصاعد حتى أشرقت بشمسها على الغرب كله، وكان السبب في رواج سُوق العلم بالأندلس في هذا العهد ما يلي:

أولاً: ما شاده خلفاء بني أمية من مراكز العلم، ومعاهد الفنون ففي عهد عبد الرحمن الناصر الذي استمر نصف قرن من سنة 300هـ إلى سنة 350هـ كانت الأندلس في غاية الازدهار والاستقرار السياسي. وكانت قرطبة كعبة العلوم والفنون، تعج بعشرات العلماء، وألوف الطلبة والمتعلمين. فهو الذي رفع للعلم صرحًا باذخًا فأغدق العطايا على العلماء وأوسع لهم مجالسه وشجعهم على دراسة سائر العلوم الدينية وغيرها كالرياضيات والفلك، كما أشرك بعضًا من علماء اليهود في الثقافة الأندلسية فبدأت في عهده دراسة التوراة والتلمود في أسبانيا، وتكونت في قصر الخليفة الأندلسي العظيم مكتبة كبرى كانت هي الدليل الواضح على الدرجة العليا التي بلغتها الثقافة الأندلسية في عهده.[1]

وقد خلفه ابنه الحَكَم الي يُعد أعلم وأحكم خلفاء بني أمية، وقد سار على نهج أبيه وأخاف خصومه فعقدوا معه المعاهدات فتفرغ لتنشيط الحركة العلمية – التي بدأ ازدهارها في عهد أبيه – فكان يكلف بعض أتباعه استنساخ كل الكتب القيمة – قديمة كانت أو حديثة – في سائر مدن الشرق، فكان انصراف الحكم في المغرب يشبه انصراف المأمون في المغرب. يقول الحميدي في شأنه: "وكان حسن السيرة، جامعاً للعلوم، محباً لها، مكرما لأهلها، وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هنالك؛ وذلك بإرساله عنها إلى الأقطار، واشترائه لها بأغلى الأثمان، ونفق ذلك عليه فحمل إليه".[2]

---

(1) انظر: ابن حزم وموقفه من الإلهيات: 112. نقلاً عن ابن حزم الأندلسى للدكتور زكريا إبراهيم ص 14. وابن حزم الأندلسي ورسالة المفاضلة بين الصحابة لسعيد الأفغاني ص 10

(2) جذوة المقتبس: 13. وانظر بغية الملتمس: 18.

وقال أبو محمد ابن حزم: "كان رفيقاً بالرعية، محباً في العلم؛ ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم. وأخبرنى تليد الفتى، وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس، أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسةً، في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط".[1]

وقال أبو محمد بن خلدون: "وكان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالا من التجّار ويسرّب إليهم الأموال لشرائها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه وبعث في كتاب الأغاني إلى مصنّفه أبي الفرج الأصفهاني، وكان نسبه في بني أمية، وأرسل إليه فيه ألف دينار من الذهب العين، فبعث إليه بنسخة منه، قبل أن يخرجه بالعراق. وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهريّ المالكيّ في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم، وأمثال ذلك. وجمع بداره الحذّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد، فأوعى من ذلك كلّه، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده، إلا ما يذكر عن الناصر العبّاسي ابن المستضيء. ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها في حصار البربر، أمر بإخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالي المنصور ابن أبي عامر. ونهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة، واقتحامهم إيّاها عنوة".[2]

ويذكر بعض المؤرخين مبلغ اهتمامه بجمع الكتب الكثيرة والنفيسة حتى قيل إنها تبلغ أربعمائة ألف مجلد وأنهم لا نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها. فبالطبع لا يأتي هذا الحرص إلا من عالم ذي غرام بالعلم فهو بحق كان في المعرفة بالرجال والأخبار والأنساب أحوذياً نسيج وحده يؤكد هذا أنه قلما يوجد كتاب من خزائنه الكثيرة إلا وله فيه قراءة أو نظر في أي فن كان ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده لعنايته بهذا الشأن.[3]

---

(1) جمهرة أنساب العرب لابن حزم: 100/1.

(2) تاريخ ابن خلدون، المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: 188/4.

(3) نفح الطيب: 395/1.

كما عُرفت الأندلس في تلك الفترة بكثرة مدارسها ومساجدها إذ بنى الحكم فيها سبعاً وعشرين مدرسة جعل تعليمها بالمجّان.[1]

وورثت فترات العامريين والطوائف وبني جهور هذا التراث الضخم، وعندما حصلت الفتن بيع أكثرها، وأخرجت بعضها ونهب البعض كما نقلنا عن ابن خلدون، لكن ليس في نهب هذه الكتب وبيعها ذهابها وليس في تخريب قرطبة قضاء على العلم بل توزعت تلك الكتب التي كانت محصورة في مكتبة القصر، وتفرق العلماء في سائر مدن الأندلس وقراها وكان في ذلك نشر للعلم والمعرفة في الأندلس.

فلم تقترن تلك الاضطرابات بانحلال فكري بل لقد شهدت بلاد الأندلس حتى في عهد الطوائف نهضة علمية كبرى نتيجة للتنافس الشديد بين الدويلات الصغيرة في مضمار العلوم والآداب فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني وليس منهم إلا من بذل وسعه في المكارم.[2]

ثانياً: رحلات الكثير من طلاب العلم من الأندلس إلى المشرق الإسلامي لطلب العلم والحصول على الإجازات العلمية، وأيضاً هجرة الكثير من أهل العلم من بلاد المشرق إلى الأندلس.

وقد ساعد على نجاح هذه الظاهرة أن حركة الانتقال كانت متاحة بين العواصم الإسلامية، على هيئة بعوث علمية، وتسابق في الحصول على إجازات العلماء والشعراء، وفي اقتناء الكتب النادرة والكبيرة.[3]

---

(1) عبد الله عنان: "المساجد الجامعة" مجلة العربي عدد 109 ديسمبر 1967م ص 23-24. وانظر ابن حزم الأندلسي لعويس: 29.

(2) نفح الطيب: 190/3.

(3) ابن حزم الأندلسي لعويس: 29.

فابن بسام يفرد القسم الرابع من مجلد الذخيرة الأول لمن هاجر إلى الجزيرة الأندلس من الآفاق، وطرأ عليها من شعراء الشام والعراق، ويشتمل هذا القسم على تراجم للرحالة الشعراء في القرن الخامس الهجري، وحتى وفاة ابن بسام سنة 542هـ.[1]

والمقري صاحب نفح الطيب يورد لنا نحواً من مائتين وخمسين ترجمة لمن رحلوا من الأندلس إلى المشرق، وقريباً من خمس وسبعين ترجمة لمن رحلوا من المشرق إلى الأندلس.[2]

وتراجم ابن بشكوال صاحب الصلة المتوفى سنة 578هـ أكثريتها لمن رحلوا إلى المشرق، كما أن هناك مشارقة كثيرين رحلوا إلى الأندلس كان يلحقهم ابن بشكوال بأعلامه تحت اسم "الغرباء".[3]

وما يقال عن هؤلاء يقال عن التراجم التي أوردها أساتذتهم من أمثال: الحميدي في جذوة المقتبس، والضبي في بغية الملتمس.[4]

ولم تكن النهضة الفكرية مقصورة على الناحية الأدبية بل شملت الناحية العلمية حيث نبغت طائفة من أكابر الرياضيين والفلكيين الذين كانت بحوثهم مستقى خصباً لاقتباس الغرب، ومنهم أبو إسحاق الزرقاني، وأبو القاسم أصبغ بن السمح، وأبو الوليد هاشم الرقاشي.[5]

وقد ألّف علماء الأندلس في كل الفنون، وقلدوا المشارقة في منهج تأليفهم، فكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء، إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظّاً عظيماً عند خواصهم، ولا يتظاهر بهما خوف العامة، فإنّه كلّما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وقيدت عليه أنفاسه.[6]

---

(1) المصدر السابق ص30.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

(5) عنان: دول الطوائف 435/2.

(6) نفح الطيب: 221/1.

وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونقٌ ووجاهة، ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به محاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم. وسمة الفقيه عندهم جليلة... وعلم الأصول عندهم متوسط الحال، والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة، حتى إنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه، لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدّةً، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه، وكل عالم في أيّ علم لا يكون متمكناً من علم النحو – بحيث لا تخفى عليه الدقائق – فليس عندهم بمستحق للتمييز، ولا سالم من الازدراء... وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفلٌ مستثقلٌ.[1]

وبهذا يتبين أن ابن حزم كان دوحة وارفة الظلال قد بسقت في مهد العلم، ونمت في معدنه، وتغذت من جوده، وبذلك نستطيع أن نقرر أنه توافرت له أسباب المعرفة كاملة، فقد لزم الشيوخ صغيراً، وعاش في معدن العلم، فأعطى من ثمرات العلم الناضج كبيراً.[2]

(1) المرجع السابق.

(2) ابن حزم لأبي زهرة: 90.

الفصل الثالث

دراسة موجزة عن كتاب المحلَّى

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بكتاب "المحلى".

المبحث الثاني: أهمية كتاب المحلى وقيمته العلمية.

المبحث الثالث: منهج ابن حزم في المحلى.

المبحث الأول:

التعريف بكتاب "المحلّى"

كتاب "المُحَلَّى" هو واحد من كتب أربعة لابن حزم، دَوَّنَ فيها فقهه ومذهبه: "الإيصال إلى فهم الخصال"، وهو أكبرها، وهو شرح لكتابه الآخر: "الخصال الحافظ لجمل شرائع الإسلام"، قال الحافظ الذهبي: "ولابن حزم مُصنَّفات جليلة أكبرُها كتاب "الإيصال إلى فهم كتاب الخِصَال" في خمسة عشر ألف ورقة".[1]

ثم أوسطُ هذه الكتب كتاب "الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام" في مجلدين، وأصغرُها "المُجلَّى" مجلد واحد، وهو مسائل فقهية مختصرة، كأنه متن في الفقه الظاهري.[2]

والمحلّى: شرح مختصر على المجلَّى. وسمّاه الذهبي في سير أعلام النبلاء: " المُحَلَّى فِي شرح المُجَلَّى بِالحجج وَالآثَار".[3] وورد اسمه في بعض المصادر: "المُحلَّى بالآثار في شرح المُجلَّى بالاختصار".[4]

وهذه الكتب كلها حاشا "المحلَّى" ضاعت فيما ضاع من كنوز المسلمين في الأندلس، إلا أن "المجلِّى" يُمكن استخلاصه من "المحلَّى" نفسه، أما الإيصالُ فقد كمَّل به أبو رافع ابن الإمام "المحلّى" مختصراً له.[5]

ويُعَدُّ كتاب "المحلَّى" من أشهر كتب ابن حزم، وبه يُعرف مذهبه الظاهري، وهو شرح مختصر للمُجلَّى، كما قال ابن حزم في مقدمته مخاطباً طلابه المبتدئين: أَمَّا بَعْدُ وَفَّقَنَا اللَّهُ

---

(1) سير أعلام النبلاء: 193/18.

(2) جذوة المقتبس: 308. وبغية الملتمس: 415. ومعجم الأدباء: 1653/4. وسير أعلام النبلاء: 193/18. ومعجم فقه ابن حزم: 15. ومقدمة خالد الرباط على كتاب المحلى: 163/1.

(3) سير أعلام النبلاء: 194/18.

(4) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل الباباني البغدادي: 444/4، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين له أيضاً: 690/1.

(5) مقدمة الدكتور خالد الرباط على كتاب المحلى: 136.

وَإِيَّاكُمْ لِطَاعَتِهِ، فَإِنَّكُمْ رَغِبْتُمْ أَنْ نَعْمَلَ لِلْمَسَائِلِ الْمُخْتَصَرَةِ الَّتِي جَمَعْنَاهَا فِي كِتَابِنَا الْمَوْسُومِ " بِالْمُحَلَّى " شَرْحًا مُخْتَصَرًا أَيْضًا، نَقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى قَوَاعِدِ الْبَرَاهِينِ بِغَيْرِ إكْثَارٍ، لِيَكُونَ مَأْخَذُهُ سَهْلًا عَلَى الطَّالِبِ وَالْمُبْتَدِئِ، وَدَرَجًا لَهُ إلَى التَّبَحُّرِ فِي الْحِجَاجِ وَمَعْرِفَةِ الِاخْتِلَافِ وَتَصْحِيحِ الدَّلَائِلِ الْمُؤَدِّيَةِ إلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِمَّا تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهِ وَالْإِشْرَافِ عَلَى أَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَالْوُقُوفِ عَلَى جَمْهَرَةِ السُّنَنِ الثَّابِتَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَتَمْيِيزِهَا مِمَّا لَمْ يَصِحَّ، وَالْوُقُوفِ عَلَى الثِّقَاتِ مِنْ رُوَاةِ الْأَخْبَارِ وَتَمْيِيزِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَسَادِ الْقِيَاسِ وَتَنَاقُضِهِ وَتَنَاقُضِ الْقَائِلِينَ بِهِ.[1]

فهو شرح مستقل لكتاب "المجلَّى"، وليس اختصاراً لكتابه "الإيصال". يقول أبو عبد الرحمن الظاهري: يظهر لي أنّ "المحلَّى" تأليف مستقل وليس اختصاراً حرفيّاً للإيصال، ولكنّ أبا محمد لما أوصى بتتمة "المحلى" من "الإيصال" ظنَّ الدارسون أنه مختصر له، ولم ينص أبو محمد على أنه اختصر "المحلى" من "الإيصال".

وعلى هذا يكون ابن حزم اختصر منهجه في إيراد المسائل والاستدلال عليها ولم يختصر كتاباً بعينه.[2]

وكتاب المحلى الذي كتبه ابن حزم يبدأ من أول الكتاب إلى المسألة رقم 2034 178/19 [حسب طبعة دار ابن حزم]، ثم أتم ابنه أبو رافع الفضل بن أبي محمد من كتاب أبيه "الإيصال".

وقد ذكر ابن خليل في مقدمته، في الطبعة المعتمدة في هذا البحث [طبعة دار ابن حزم] أنه لم يعجبه صنيع أبي رافع في التتمة، ورآه يخالفُ نهجَ "المحلى"، حيث لم يجعل "المجلّى" أصلاً لتتمته، فألّف حينئذ كتابه "القَدح المعلّى في إكمال المحلّى".[3]

---

(1) المحلى: 291/1

(2) ابن حزم خلال ألف عام: 150/1.

(3) انظر مقدمة التحقيق في المجلد 22 من طبعة دار ابن حزم للمحلى.

المبحث الثاني:

أهمية كتاب المحلى وقيمته العلمية

كتاب "المحلى" من الكتب النفيسة المهمة في تراثنا الإسلامي، وتناوله كثير من السابقين والمعاصرين بالثناء والإعجاب، ولا غرابة في أن يحمد كل ذلك ممن قرأ كتاب "المحلى" ووقف على فقه الإمام ابن حزم في كثير من المسائل، ولا يقدحُ في مكانة هذا الكتاب وجود الشذوذ في بعض المسائل –خلافاً لمن عدَّ ذلك قادحاً فيه– فكلٌّ يُؤخذُ من كلامه ويُرَدُّ إلّا مبلغ الرسالة محمداً صلى الله عليه وسلم.[1]

وقد مر معنا شهادة العلامة المجتهد العز بن عبد السلام شيخ الشافعية في عصره عن كتاب "المحلّى" و"المغني" وهي قوله: "ما رأيت في كُتُب الإسلام في العلم مثل "المُحَلَّى" لابن حَزْم، و"المغني" للشَّيخ الموفَّق".[2]

ويقول الإمام الذهبي: "وكتاب " المحلى في شرح المجلَّى " ثمانية أسفار في غاية التَّقصّي".[3]

وقال السيد محمد رشيد رضا: " من حسنات المطابع في هذا العصر أن يسرت لكل مشتغل بفقه الحديث أن يقتني كتاب المحلى مطبوعًا أحسن طبع على أجود ورق في أحد عشر جزءًا، بعد أن كان من كنوز أغنى الخزائن، وأندر الذخائر، وحسبك من فضله ونفعه شهادة سلطان العلماء الإمام عز الدين بن عبد السلام أنه هو والمغني لابن قدامة أحسن ما كتب المسلمون في الفقه؛ فهي تغني عن وصفه وبيان إمامة مؤلفه وفضله...".[4]

---

(1) مقدمة خالد الرباط للمحلى: 138.

(2) تذكرة الحفاظ: 229/3، والسير للإمام الذهبي: 193/18. والوافي بالوفيات: 94/20. وشذرات الذهب: 161/7.

(3) تاريخ الإسلام للذهبي: 74/10.

(4) مجلة المنار: 87/35.

إنّ كتاب "المحلى" ليس مجرد كتاب فقهي فحسب، بل هو موسوعة من كثير من الفنون، الأمر الذي يدل على سعة علميه، وكثرة اطلاعه ومعرفته، فهو الفقيه المفسر المحدِّث اللُّغوي.

يقول محمد المنتصر الكتاني: "ولو ذهبنا نجردُ علوم "المحلى" ومعارفه بأجزائه الأحد عشر، لجرَّدنا منه مجلداً في فقه ابن حزم، ومجلداً في أحكام القرآن، ومجلداً في أحكام الحديث، ومجلداً في حديث ابن حزم المسند، ومجلداً في فقه الصحابة والتابعين، ومجلداً في فقه تابعي التابعين إلى منتصف القرن الخامس، ومجلّدين في الرَّد على فقه الأحناف، ومجلّدين في الرَّدِّ على فقه المالكية، ومجلداً في الرد على فقه الشافعية، والظاهرية، وغيرهم من المذاهب".[1]

ومما يزيد في أهمية الكتاب وقيمته العلمية أنه حفظ لنا من آثار الصحابة والتابعين في مسائل مختلفة، فلا تكاد تمر مسألة فقهية إلا ويذكر فيها ابن حزم جملةً من آثار الصحابة والتابعين، خاصة وأن كثيراً من المصادر التي ينقل عنها قد فُقدت. بل إن هناك من الغرائب والفرائد والفوائد التي نقلها ابن حزم لكثير من الصحابة والتابعين تجعل العالم والمتعلم يقف عندها طويلاً، ولمن أرد الاطلاع على طائفة منها فليرجع لكتاب "معجم فقه ابن حزم" للكتاني.

(1) معجم فقه ابن حزم: 21.

المبحث الثالث:

منهج ابن حزم في المحلَّى

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: منهج ابن حزم في عرض المسائل الفقهية.

قسَّم ابن حزم كتابه "المحلى" إلى كتب كبيرة جامعة، ثم قسَّم كل كتاب إلى مسائل فقهية، وأغلب المسائل مستقلة بذاتها، والقليل من المسائل نجده مرتبطاً ببعضه.

أما الطريقة التي أراد أن يشرح الكتاب عليها فهي أن يذكر نصَّ المسألة من "المجلَّى" ثم يبدأ بذكر البرهان على كلامه، ثم يذكر آراء المخالفين، ويفندها قولاً قولاً، حتى يصل إلى نتيجة تفيد بصحة قوله الذي أورده في رأس المسألة، وقد يضيف مسائل جديدة، وقد تكون الإضافة بذكر كلمة "مسألة" فقط! ثم يبدأ في عرض الخلاف في مسألة ما مع الرد والمحاورة، ثم يخلص إلى صحة أحد الأقوال فيها، وقد يبدأ بذكر كلمة "مسألة" ثم يعرض الأخبار الواردة في المسألة دون تحديد رأس المسألة ولو خلال الشرح، وإنما تُفهم من سياق الأخبار.

وعادة ما يذكر رأيه في رأس المسألة مصدّراً بقوله: قال علي، أو قال أبو محمد. ثم يذكر برهانه وأدلته على رأيه الفقهي من الكتاب والسنة مدعوماً بما يراه من أدلة العقل والنظر ما أمكن، ويعزز قوله بآثار الصحابة والتابعين إن وجدت، ويبدو أن لأه أسانيد متصلة بأغلب الأحاديث والآثار التي يذكرها، إلا أنه أحياناً يذكر الخبر بإسناده، وأحياناً بلا إسناد، وأحياناً يشير إلى أنه سبق ذكره بإسناده، وكثيراً ما يذكر اسم الكتاب أو المسألة التي سبق فيها الخبر.

ويذكر من وافقه في هذه المسألة من الصحابة والتابعين وأهل العلم، ثم يتطرق لذكر المخالفين عادة وبخاصة الحنفية والمالكية، ويرد على أقوالهم ويفندها، فهو لا يقلد أحداً، ويُعد عند أهل العلم في مقام المجتهد المطلق، بَيْدَ أنَّه كثيراً ما يصحب هذا الردّ شيء من

الحدة. وأحياناً يكرر بعض المسائل حسب الحاجة إلى ذلك، إلا أنه إذا استفاض في موضع اختصر الكلام في الموضع الآخر وأحال إلى الأول.[1]

المطلب الثاني: منهج ابن حزم في الاستدلال.

أولاً: الأصول المعتمدة لديه في استنباط الأحكام.

يقول ابن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام: "الأصول التي لا يعرف شيء من الشرائع إلا منها وأنها أربعة وهي نص القرآن ونص كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي إنما هو عن الله تعالى مما صح عنه عليه السلام نقل الثقات أو التواتر وإجماع جميع علماء الأمة أو دليل منها لا يحتمل إلا وجهاً واحداً".[2]

إذاً فالأصول التي يعتمد عليها في استدلاله الفقهي، هي الكتاب، والسنة الصحيحة المتواترة والآحاد، والإجماع،[3] والدليل المأخوذ من النص ومن الإجماع، وهو كالتالي:[4]

أ – الدليل المأخوذ من الإجماع، فهو ينقسم إلى أربعة أقسام كلها أنواع من أنواع الإجماع وداخلة تحت الإجماع وغير خارجة عنه وهي:

1 – استصحاب الحال.

2 – أقلُّ ما قيل.

3 – إجماعهم على ترك قولة ما.

4 – إجماعهم على أن حكم المسلمين سواء.

ب – الدليل المأخوذ من النصِّ فهو ينقسم أقساماً سبعةً كلها واقع تحت النص وهي:

---

(1) انظر: مقدمة تحقيق كتاب المحلى بإشراف خالد الرباط: 40.

(2) الإحكام في أصول الأحكام: 71/1.

(3) يقول ابن حزم في تعريف الإجماع: والإجماع هو ما تُيُقِّنَ أنَّ جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفوه وقالوا به، ولم يختلف منهم أحد. انظر المحلَّى: 463/1 [96].

(4) انظر الإحكام في أصول الأحكام: 106/5–107.

1 – مقدمتان تُنتجُ نتيجةً ليست منصوصةً في إحداهما، كقوله صلى الله عليه وسلم: "**كلُّ مُسكرٍ خمرٌ وكلُّ خمرٍ حرام**".[1] النتيجةُ كلُّ مسكرٍ حرامٌ فهاتان المقدمتان دليلٌ برهانيٌّ على أن كلَّ مسكرٍ حرام.

2 – شرطٌ معلَّقٌ بصفة، فحيثُ وُجد فواجبٌ ما عُلِّق بذلك الشرط. مثل قوله تعالى: ﴿**لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ**﴾ [الأنفال: 37] فقد صح بهذا أن من انتهى غفر له.

3 – لفظٌ يُفهمُ منه معنى فيؤدى بلفظٍ آخرَ، وهذا نوع من تسميه أهل الاهتبال بحدود الكلام المتلائمات مثل قوله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ**﴾ فقد فهم من هذا فهما ضروريا أنه ليس بسفيه وهذا هو معنى واحد يعبر عنه بألفاظ شتى كقولكَ: الضَّيغَم والأسد والليث والضِّرغام وعَنْبسة، فهذه كلها أسماء معناها واحد وهو الأسد.

4 – أقسام تبطلُ كلُّها إلا واحداً فيصحُّ ذلك الواحد، مثل أن يكون هذا الشيء إمَّا حرام فله حكم كذا، وإما فرضٌ له حكم كذا، وإمّا مباح فله حكم كذا، فليس فرضاً ولا حراماً فهو مباح له حكم كذا. أو يكون قوله يقتضي أقساماً كلها فاسد فهو قول فاسد.

5 – قضايا واردة مدرجة، فيقتضي ذلك أن الدرجةَ العليا فوقَ التالية لها بعدها، وإن كان لم ينصَّ على أنها فوق التالية، مثل قولك: أبو بكر أفضل من عمر، وعمر أفضل من عثمان، فأبو بكرٍ بلا شكّ أفضلُ من عثمان.

6 – أن نقول كلَّ مُسكرٍ حرامٌ، فقد صحَّ بهذا أن بعضَ المحرمات مسكرٌ، وهذا هو الذي تسميه أهل الاهتبال بحدود الكلام عكسَ القضايا، وذلك أن الكلية الموجبة تنعكس جزئيةً أبداً.

7 – لفظٌ ينطوي فيه معان جمة، مثل قولك: زيدٌ يكتبُ، فقد صحَّ من هذا اللفظ أنّه حيٌّ، وأنّه ذو جارحةٍ سليمةٍ يكتبُ بها، وأنه ذو آلاتٍ يصرفُها. ومثل قوله تعالى: ﴿كُلٌّ

---

(1) أخرجه مسلم في الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر، رقم: (2001).

نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، [آل عمران: 185] فصـــح من ذلك أن زيداً يموت، وأنَّ هنداً تموتُ، وأنَّ عمراً يموتُ، وهكذا كل ذي نفس وإن لم يذكر نص اسمه، فهذه هي الأدلة التي نستعملها وهي معاني النصوص ومفهومها وهي كلها واقعة تحت النص وغير خارجة عنه أصلاً.

ثانياً: الالتزام بظاهر النصّ:

انتصـــر ابن حزم للقول بظاهر النص، ودافع عن ذلك، ثم انتقل بعدُ لبيان موجبات العدول عن مقتضـى الظاهر إلى معاني أخرى، يقول مبيناً هذه الموجبات: "فإن قالوا بأي شيء تعرفون ما صُرف من الكلام عن ظاهره؟، قيل لهم – وبالله تعالى التوفيق –: نعرف ذلك بظاهر آخر مخبر عنه بذلك، أو بإجماع متيقن منقول عن النبي – صـلى الله عليه وسلم –، على أنه مصروف عن ظاهره فقط".(1)

ويوضح ابنُ حزم آفةَ من أَتْبَعَ نفسه هَواهَا، فأحال نصاً عن ظاهره بغير برهان فيقول: "ولا يحل لأحد أن يحيل آية عن ظاهرها، ولا خبرًا عن ظاهره، لأن الله تعالى يقول: **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾**: وقال ذَامًّا لقوم: **﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾**، ومن أحال نصًّا عن ظاهره في اللغة بغير بُرهان من آخر، أو إجماع فقد ادَّعى أن النص لا بيان فيه، وقد حرف كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه – صـلى الله عليه وسـلم –، عن مَوْضِـعِهِ، وهذا عظيم جداً".(2)

ويقول: "وبرهان ما قلنا من حمل الألفاظ على مفهوم ظاهرها قول الله تعالى في القرآن: **﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾**، وقوله تعالى: **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾**، فصح أن البيان لنا إنما هو حملُ لفظ القرآن والسنة على ظاهرهما وموضوعهما، فمن

---

(1) الإحكام في أصول الأحكام: 41/3.

(2) النبذة الكافية في أحكام أصول الدين لابن حزم: 36-37.

أراد صرف شيءٍ من ذلك إلى تأويل بلا نصّ ولا إجماع فقد افترى على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وخالف القرآن، وحصَّل في الدعاوى، وحرف الكَلِمَ عن مواضعه".[1]

ويذكر ابن حزم أنه لا يعترف بالتأويل والعدول عن ظواهر النصوص إلا إذا دل على ذلك دليل وشاهد من قرآن أو سنة صحيحة أو إجماع.

فيقول: "والتأويلُ نقلُ اللفظ عمَّا اقتضاه ظاهرُهُ وعمَّا وُضِعَ له في اللغة إلى معنى آخر، فإن كان نقله قد صح ببرهان، وكان ناقلُه واجبَ الطاعة فهو حقٌّ، وإن كان نقله بخلاف ذلك أُطْرِح ولم يُلتفت إليه، وحُكِمَ لذلك النقل بأنه باطل.[2]

وَيُنَوِّهُ ابنُ حزم بالتأويل الصحيح المعتمد في صرف اللفظ عن ظاهر معناه فيقول أثناء رده على من لَامَهُ في تَرْكِ الأخذ به:[3] ". . . وأما ترك الأخذ بالتأويل، فلا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما، إما تأويل يشهد بصحة القرآن، أو سنة صحيحة، أو إجماع فَبِهِ نقول إذا وجدناه، وإما تأويل دعوى لا يشهد بصحته نص قرآن، ولا إجماع، فهذا الذي ننكره، وندفعه، ونبرأ إلى الله تعالى منه. . .".[4]

ثالثاً: إبطال القياس والرأي والتعليل:

يرى ابن حزم أنه لا يحل العمل بالقياس، وأسهب في الرد على الجمهور، مُبَيّناً الأخطاء الواقعة في مناهج الاستدلال من وجهة نظره، فقال:

مَسْأَلَةٌ: وَلَا يَحِلُّ الْحُكْمُ بِقِيَاسٍ، وَلَا بِالرَّأْيِ وَلَا بِالِاسْتِحْسَانِ وَلَا بِقَوْلِ أَحَدٍ مِمَّنْ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – دُونَ أَنْ يُوَافِقَ قُرْآنًا أَوْ سُنَّةً صَحِيحَةً؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ حُكْمٌ بِغَالِبِ الظَّنِّ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[يونس: 36] .

---

(1) المرجع السابق: 38.

(2) الإحكام في أصول الأحكام: 42/1.

(3) انظر مقدمة الإعراب عن الحيرة والالتباس، دراسة الدكتور محمد بن زين العابدين رستم: 167/1.

(4) انظر: رسالتين أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال تعنيف (ج 3/ ص 80) ضمن رسائل ابن حزم.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**﴾[النجم: 23].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**".[1]

فَإِنْ قِيلَ: فَإِنَّكُمْ فِي أَخْذِكُمْ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ مُتَّبِعُونَ لِلظَّنِّ.

قُلْنَا: كَلَّا، بَلْ لِلْحَقِّ الْمُتَيَقَّنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر: 9].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[النجم: 3 و4].

فَإِنْ قِيلَ: فَإِنَّكُمْ فِي الْحُكْمِ بِالْبَيِّنَةِ وَالْيَمِينِ حَاكِمُونَ بِالظَّنِّ.

قُلْنَا: كَلَّا، بَلْ بِيَقِينٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنَا بِذَلِكَ نَصًّا وَمَا عَلَيْنَا مِنْ مَغِيبِ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِذْ لَمْ نُكَلَّفْهُ.

وَأَيْضًا – فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مَا أَوْجَبَهُ الْقِيَاسُ، أَوْ مَا قِيلَ بِرَأْيٍ أَوْ اسْتِحْسَانٍ أَوْ تَقْلِيدِ قَائِلٍ مِنْ أَحَدِ، أَوْجُهٍ ثَلَاثَةٍ لَا رَابِعَ لَهَا ضَرُورَةً –: إِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُوَافِقًا لِقُرْآنٍ أَوْ لِسُنَّةٍ صَحِيحَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَهَذَا إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ بِالْقُرْآنِ أَوْ بِالسُّنَّةِ، وَلَا مَعْنَى لِطَلَبِ قِيَاسٍ، أَوْ رَأْيٍ، أَوْ قَوْلِ قَائِلٍ مُوَافِقٍ لِذَلِكَ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِالْقُرْآنِ، أَوْ بِحُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَّا حَتَّى يُوَافِقَ ذَلِكَ قِيَاسٌ، أَوْ رَأْيٌ، أَوْ قَوْلُ قَائِلٍ فَقَدْ انْسَلَخَ عَنْ الْإِيمَانِ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[النساء: 65] وَهَذَا الَّذِي لَمْ يَحْكُمْ بِحُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيمَا شَجَرَ عِنْدَهُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا حَتَّى وَافَقَهُ قِيَاسٌ أَوْ رَأْيٌ،

---

(1) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب من خطب أخيه حتى ينكح أويدع، برقم (4849)، ومسلم في البر والصلة، باب: تحريم الظن والتجسسو التنافس، رقم: (2563).

أَوْ قَوْلُ قَائِلٍ فَلَمْ يُحَكِّمْ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلَا سَلَّمَ لَهُ تَسْلِيمًا، بَلْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَرَجًا مِمَّا قَضَى بِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فَوَرَبِّنَا مَا آمَنَ.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُخَالِفًا لِلْقُرْآنِ أَوْ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَهَذَا الضَّلَالُ الْمُتَيَقَّنُ، وَخِلَافُ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَلَا نَحْتَاجُ أَنْ نُطَوِّلَ فِي هَذَا مَعَ مُسْلِمٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا﴾[البقرة: 229]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾[النساء: 14].

وَإِمَّا أَنْ لَا يُوجَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مَا يُوَافِقُهُ نَصًّا وَلَا مَا يُخَالِفُهُ، فَهَذَا مَعْدُومٌ مِنْ الْعَالَمِ وَلَا سَبِيلَ إلَى وُجُودِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة: 3] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[الأنعام: 38] .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاتْرُكُوهُ**".[1]

فَصَحَّ ضَرُورَةً أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ حُكْمٌ أَبَدًا عَنْ أَنْ يَأْمُرَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فَيَكُونُ فَرْضًا مَا اسْتَطَعْنَا مِنْهُ أَوْ يَنْهَى عَنْهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فَيَكُونُ حَرَامًا، أَوْ لَا يَكُونُ فِيهِ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ فَهُوَ مُبَاحٌ فِعْلُهُ وَتَرْكُهُ، وَبَطَلَ أَنْ تَنْزِلَ نَازِلَةٌ فِي الدِّينِ لَا حُكْمَ لَهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ – وَلَوْ وُجِدَتْ – وَقَدْ أَبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تُوجَدَ –: لَكَانَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُشَرِّعَ فِيهَا حُكْمًا دَاخِلًا فِي الدِّينِ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى إذْ قَوْله تَعَالَى: ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى: 21] .

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (2858)، وأخرجه مسلم في الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر. وفي الفضائل، باب: توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله مما لا ضرورة إليه .. ، رقم: (1337).

فَإِنْ قَالُوا: نَحْكُمُ فَهَا بِحُكْمٍ مَا يُشْبِهُهَا مِنْ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؟ قُلْنَا: وَأَيْنَ أَمَرَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا؟ وَهَذَا هُوَ الشَّرْعُ فِي الدِّينِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ.

فَإِنْ قَالُوا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾[الحشر: 2] ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، اعْتَبِرُوا مَعْنَاهُ اعْجَبُوا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾[النحل: 66] ، وَمَا فَهِمَ أَحَدٌ قَطُّ مِنْ " ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾[الحشر: 2] اُحْكُمُوا لِلشَّيْءِ بِحُكْمِ نَظِيرِهِ، وَهَذَا هُوَ تَحْرِيفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْبَاطِلِ وَبِمَا لَمْ يَقُلْهُ.

فَإِنْ قَالُوا: قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[آل عمران: 159] .

قُلْنَا: نَعَمْ، فِيمَا أُبِيحَ لَهُ فِعْلُهُ وَتَرْكُهُ، لَا فِي شَرْعِ الدِّينِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ فِيهِ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا فِي إسْقَاطِ فَرْضٍ فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا فِي إبَاحَةِ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا فِي إيجَابِ مَا لَمْ يُوجِبْهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾[الحجرات: 7] .

فَصَحَّ أَنَّ الْأَخْذَ بِرَأْيِهِمْ لَا يَجُوزُ فِي الدِّينِ إلَّا حَيْثُ صَحَّحَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – فَقَطْ، وَمَا كَانَ هَكَذَا فَإِنَّمَا صَحَّ طَاعَةً لِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَا اتِّبَاعًا لِمَنْ أَشَارَ بِهِ – ثُمَّ كُلُّ مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ آيَةٍ أَوْ سُنَّةٍ فِيهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكَمَ فِي أَمْرِ كَذَا بِكَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا وَكَذَا، أَوْ كَمَا حَكَمَ فِي أَمْرِ كَذَا.

قُلْنَا: هُوَ حَقٌّ كَمَا هُوَ.

وَكُلَّمَا أَرَدْتُمْ أَنْ تُشَرِّعُوا أَنْتُمْ فِيهِ تَشْبِيهًا لَهُ بِحُكْمٍ آخَرَ دُونَ نَصٍّ فَهُوَ بَاطِلٌ بَحْتٌ لَا يَحِلُّ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُحَرِّمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ أَشْيَاءَ أُخَرَ، وَلَا أَنْ يُوجِبَ مَا لَمْ يُوجِبْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْجَبَ أَشْيَاءَ أُخَرَ –: فَهَذَا كُلُّهُ تَعَدٍّ لِحُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَشَرْعٌ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى.

فَإِنْ ادَّعَوْا فِي جَوَازِ ذَلِكَ إجْمَاعًا.

قُلْنَا: هَذَا الْكَذِبُ وَالْبَهْتُ، بَلْ الْإِجْمَاعُ قَدْ صَحَّ عَلَى بُطْلَانِ كُلِّ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْأُمَّةَ كُلَّهَا مُجْمِعَةٌ عَلَى تَصْدِيقِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة: 3] .

وَعَلَى تَصْدِيقِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[النساء: 59] .

وَفِي هَذَا بُطْلَانُ الْحُكْمِ بِمَا عَدَا الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةَ.

ثُمَّ نَقَضَ مَنْ نَقَضَ فَأَخْطَأَ قَاصِدًا إلَى الْخَيْرِ، وَلَا سَبِيلَ لَهُمْ أَلْبَتَّةَ إلَى وُجُودِ حُكْمٍ طُولَ مُدَّةِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِقِيَاسٍ أَصْلًا، وَلَا بِرَأْيٍ أَلْبَتَّةَ، وَكُلُّ شَرْعٍ حَدَثَ بَعْدَهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – لَمْ يَحْكُمْ هُوَ بِهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ بِيَقِينٍ، وَلَيْسَ مِنْ الدِّينِ أَلْبَتَّةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة: 3] وَمَا كَمُلَ فَلَا يَجُوزُ أَلْبَتَّةَ أَنْ يُزَادَ فِيهِ شَيْءٌ أَصْلًا، وَلَا سَبِيلَ أَلْبَتَّةَ إلَى أَنْ يُوجَدَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – الْأَمْرُ بِالْقِيَاسِ فِي الدِّينِ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحَةٍ أَبَدًا.

وَأَيْضًا – فَمُدَّعِي الْإِجْمَاعِ عَلَى مَا لَا يَتَيَقَّنُ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ فَقَدْ عَرَفَهُ وَقَالَ بِهِ: كَاذِبٌ عَلَى الْأُمَّةِ كُلِّهَا، وَقَدْ نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنَّ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ آمَنُوا، وَسَمِعُوا الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَهُمْ صَحَابَةٌ وَفُضَلَاءُ، فَمَنْ لِهَذَا الْمُدَّعِي بِالْبَاطِلِ بِإِجْمَاعِ أُولَئِكَ، فَكَيْفَ وَإِحْصَاءُ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – لَا تُحْصَرُ إلَّا حَيْثُ لَا يُشَكُّ فِي أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ فَقَدْ عَرَفَهُ.

وَقَدْ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: مَنْ ادَّعَى الْإِجْمَاعَ فَقَدْ كَذَبَ، وَمَا يُدْرِيهِ لَعَلَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ – حَدَّثَنَا بِذَلِكَ: حُمَامُ بْنُ أَحْمَدَ، وَيَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ حُمَامٌ: نا عَبَّاسُ بْنُ أَصْبَغَ، وَقَالَ يَحْيَى: نا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَزْمٍ، ثُمَّ اتَّفَقَ أَحْمَدُ، وَعَبَّاسٌ، قَالَا: نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَيْمَنَ نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ: قَالَ أَبِي فَذَكَرَهُ.أ.هـ.[1]

(1) المحلّى: 140/12.

ويقول أيضاً: "مَسْأَلَةٌ: وَلَا يَحِلُّ الْقَوْلُ بِالْقِيَاسِ فِي الدِّينِ وَلَا بِالرَّأْيِ لِأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ التَّنَازُعِ بِالرَّدِّ إلَى كِتَابِهِ وَإِلَى رَسُولِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَدْ صَحَّ، فَمَنْ رَدَّ إلَى قِيَاسٍ وَإِلَى تَعْلِيلٍ يَدَّعِيه أَوْ إلَى رَأْيٍ فَقَدْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُعَلَّقَ بِالْإِيمَانِ وَرَدَّ إلَى غَيْرِ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّدِّ إلَيْهِ، وَفِي هَذَا مَا فِيهِ".[1]

وكثيراً جداً ما يقول: "القياس كله باطل".[2] ويقول أيضاً: "والرأي والقياس ظنٌّ، والظنُّ باطلٌ".[3]

ولسنا هنا في معرض الرد على استدلالاته، فليس من صلب البحث، لكن من أراد ذلك، فهناك كلام حسن للإمام ابن القيم الجوزية[4] في كتابه "إعلام الموقعين" تحدث فيه عن مسألتي التعليل والقياس في معرض إجابته عن سؤال: هل تُحيط النصوص بِحُكْمِ جميع الحوادث؟.[5]

رابعاً: نبذ التقليد:

اختار ابن حزم المذهب الظاهري لأنه المذهب الذي ليس فيه مقلد، والمرجع فيه إلى الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، لذلك نجده يبالغ في التنفير من التقليد وذم المقلدة، مستدلاً على صحة منهجه بالنقل والعقل، فيقول في ذلك: "والتقليد حرام، ولا يحل لأحد أن يأخذ بقول أحد من غير برهان، برهَان ذَلِك قَوْله تَعَالَى ﴿ **اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف: 3]، وَقَوله تَعَالَى ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا**

---

(1) المحلى: المسألة رقم 100.

(2) كرر ذلك في المحلى عشرات المرات.

(3) المحلى عند المسألة رقم 104.

(4) محمد بن قيّم الجوزيّة (691 – 751 هـ) (1292 – 1350 م) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن حريز الزرعي، ثم الدمشقي، الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية (شمس الدين، ابو عبد الله) فقيه، أصولي، مجتهد، مفسر، متكلم، نحوي، محدث، مشارك في غير ذلك. ولد بدمشق، تفقه، وأفتى، ولازم ابن تيمية، وسجن معه في قلعة دمشق، وتوفي في 13 رجب ودفن في سفح قاسيون بدمشق. من تصانيفه الكثيرة: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، زاد المعاد في هدى خير العباد، اعلام الموقعين عن رب العالمين، تهذيب سنن أبي داود، الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية، وله نظم. [معجم المؤلفين: 107/9، والأعلام: 56/6].

(5) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم: 91/3.

أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [البقرة: 170]، وَقَالَ تَعَالَى مادحا لقوم لم يقلدوا ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: 17]، فَلَا يزهد أمرء فِي ثَنَاء الله تَعَالَى بِأَنَّهُ قد هداه وانه من اولى الْأَلْبَاب وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: 59]، فَلم يبح الله تَعَالَى الرَّد الى أَحْدُ عِنْد التَّنَازُع دون الْقُرْآن وَسنة نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وَقد صَحَّ اجماع جَمِيع الصحابه رضى الله عَنْهُم اولهم عَن آخِرهم واجماع جَمِيع التَّابِعين اولهم عَن آخِرهم على الِامْتِنَاع وَالْمَنْع من ان يقْصد مِنْهُم أَحْدُ الى قَول انسان مِنْهُم اَوْ مِمَّن قبلهم فَيَأْخذهُ كُله فَليعلم من أَخذ بِجَمِيعِ قَول ابي حنيفه اَوْ جَمِيع قَول مَالك اَوْ جَمِيع قَول الشَّافِعِي اَوْ جَمِيع قَول احْمَد بن حَنْبَل رضى الله عَنْهُم مِمَّن يتَمَكَّن من النّظر وَلم يتْرك من اتبعهُ مِنْهُم الى غَيره انه قد خَالف اجماع الأمه كلهَا عَن آخرهَا وَاتبع غير سَبِيل الْمُؤمنِينَ نَعُوذ بِاللَّه من هَذِه المنزله وَأَيْضًا فان هَؤُلَاءِ الأفاضل قد نهوا عَن تقليدهم وتقليد غَيرهم فقد خالفهم من قلدهم وايضا فَمَا الَّذِي جعل رجلا من هَؤُلَاءِ أَو من غَيرهم اولى بِأَن يُقَلّد من أَمِير الْمُؤمنِينَ عمر بن الْخطاب اَوْ على بن ابي طَالب اَوْ بن عَبَّاس اَوْ عَائِشَة ام الْمُؤمنِينَ فَلَو سَاغَ التَّقْلِيد لَكَانَ هَؤُلَاءِ اولى بِأَن يتبعوا من أبي حنيفه وَمَالك وَالشَّافِعِيّ وَأحمد وَمن ادّعى من المنتسبين الى هَؤُلَاءِ أَنه لَيْسَ مُقَلدًا فَهُوَ نَفسه اول عَالم بِأَنَّهُ كَاذِب ثمَّ سَائِر من سَمعه لأَنا نرَاهُ ينصر كل قَوْله بلغته لذَلِك الَّذِي انْتَمَى اليه وان لم يعرفهَا قبل ذَلِك وَهَذَا هُوَ التَّقْلِيد بِعَيْنِه.[1]

ويحث ابن حزم على الاجتهاد وبذل الوسع والطاقة في ذلك، وسؤال أهل العلم عن حكم الله تعالى، فيقول: "ولا يحل لأحد أن يقلد أحداً لا حياً ولا ميتاً: وكل أحد له الاجتهاد حسب طاقته، فمن سأل عن دينه، فإنما يريد معرفة ما ألزمه الله عز وجل في هذا الدين، ففرض عليه إن كان أجهل أهل البرية أن يسأل عن أهل موضعه".[2]

ويشتد نكير ابن حزم على مَنْ عَرَضَ كلام الله، وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – على أقوال الأئمة المتبوعين، فإذا وافق نص شرعي كلام أحد من الأئمة قبله وعمل به،

(1) النبذة الكافية: 71-72.

(2) المحلى، كتاب التوحيد، مسائل من الأصول: 85/1.

وإذا خالف شـيء من ذلك شـيئا مأثورا، عن إمام مشـهور، قَدَّمَ قول الإمام، وأعرض عن كلام الله، وكلام رسـوله – صـلى الله عليه وسـلم –،[1] يقول ابن حزم: "وأما أهل بِلَادِنَا، فليسـوا ممن يتغنى بطلب دليل على مسـائلهم، وطَالِبُهُ منهم في النَّدرة، إنما يطلبه كما ذكرنا آنفا، فيعرضون كلام الله تعالى، وكلام الرسول – صلى الله عليه وسلم – على قول صـاحبهم، وهو مخلوق مذنب يخطئ ويصـيب، فإن وافق قول الله، وقول رسـوله – صـلى الله عليه وسـلم – قول صـاحبهم أخذوا به وإن خالفاه تركوا قول الله جانبا، وقوله – صـلى الله عليه وسـلم – ظهريا، وثبتوا على قول صـاحبهم، وما نعلم في المعاصـي، ولا في الكبائر – بعد الشرك المجرد – أعظم من هذه، وأَنَّهُ لأشد من القتل والزنا".[2]

ويعلم مما سـبق آنفا أن ابن حزم يدافع عن الاتجاه الظاهري –الذي من أصـوله، تحريم التقليد، ووجوب الاجتهاد على المسـلمين جميعهم – لا بالمعنى الذي يراد للمذهب، من أن هناك صـاحب مذهب وله أتباع يتبعون أقواله، وينصـرونها بالحجج والبراهين، ويتبعونها حذو القذة بالقذة.[3]

وفي الحق لقد كان أنصـار القول بالظاهر أنفر الناس من التقليد، وأكثرهم اجتهادا، يقول محمد بن خليل:[4] ". . . وكذلك أقول لا يَجْهَل علي جاهل، فيظن أني متبع للإمام أبي محمد – يعني ابن حزم – أبو محمد شـيخ من شـيوخي، ومعلم من مُعَلِّمِيَّ، إِنْ أَصَـابَ الحق، فأنا معه اتباعا للحق وإلا فأنا مع الحق حيث فهمته بحسـب ما يوفقني الله تعالى له، وَيُنْعِمُ به عليَّ".[5]

---

(1) مقدمة الإعراب عن الحيرة والالتباس: 170/1.

(2) الإحكام في أصول الأحكام: 117/6–118.

(3) انظر: دراسـة تاريخية للفقه وأصـوله والاتجاهات التي ظهرت فيهما: ص 132؛ المؤلف: مصـطفى سـعيد الخن؛ الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع؛ مدينة النشر: دمشق–سوريا؛ الطبعة الأولى؛ سنة النشر: 1404هـ–1984م.

(4) لم يُعرف، ويرجح الأسـتاذ محمد إبراهيم الكتاني أن يكون والده عبد الملك بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن خليل العبدري المذكور في الذيل والتكملة للمراكشـي وانظر: التعليق على المورد الأحلى (ص 314) مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الرابع الجزء الأول، ماي 1958 م. [مقدمة الإعراب عن الحيرة والالتباس: 170/1].

(5) المورد الأحلى في اختصـار المحلى: 343؛ تحقيق: محمد إبراهيم الكناني مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد 4 الجزء الأول 1958 م رقم 21 و 25.

المطلب الثالث: منهج ابن حزم في الرد على الخصوم.[1]

بعد أن يذكر ابن حزم رأيَه في المسألة مدعماً بالأدلة يذكرُ آراء المخالفين ويرد عليها، فيبدأ بنقض الأدلة التي اعتمدوا عليها، مثلاً الأحاديث والآثار من جهة الإسناد أو من جهة الدلالة، وإن كان دليلُهم القياس أبطلَه بقوله: القياسُ كله باطل، ثم لو كان القياس حقّاً لكان هذا منه عين الباطل، أو كان إجماعاً كذَّبَه.

ونلاحظ في ردّه على المخالفين أنه يتسم بأسلوب المناظرة حتى أنه أحياناً يفترض ردّاً على لسان مخالفيه ثم يردُّ هو عليه، فيقولُ: إن قالوا كذا قلنا كذا. انظر مثلاً رده على أبي حنيفة –رحمه الله تعالى– في قوله أن الوضوءَ والغسلَ يُجزآن بلا نية، يقول ابن حزم: فإن قالوا بأنَّ الله تعالى قال: ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة: 6]، ولم يقل ذلك في الوضوء؛ قلنا: نعم، فكان ماذا؟ وكذلك قال تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ [المائدة: 6]، فصح أنَّه لا يُجزِئُ في ذلك الغُسلُ إلا للصلاة بنَصِّ الآية.

(1) مقدمة تحقيق المحلى لخالد الربّاط: 149.

المطلب الرابع: مصادر ابن حزم في المحلى.[1]

مصـــادر "المحلّى" ومراجعه قد تبلغ في عدّها العشـــرات، ولكن ابن حزم قلّما يذكر أسـماء هذه المصـادر، ويكتفي بأسـماء أصـحابها للموافقة في آرائهم أو للمخالفة، مثل: البخاري، ومسـلم، وأبي داود، والنسـائي، ومالك، وأحمد، والبزّار، والحاكم، وبقي بن مخلد، وقاسـم بن أصـبغ، ووكيع، وحماد بن سـلمة، وابن أيمن، وابن الجباب، وزكريا السـاجي، والقاسم بن سلّام، وعبد بن حميد، وابن جرير وغيرهم.

والمصادر المذكورة بأسمائها، وأسماء مؤلفيها قليلة، منها:

1 – كتاب السـبعة لعبد الرحمن بن زيد، ولعل السـبعة هم فقهاء المدينة السـبعة: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير بن العوام، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وخارجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار مولى ميمونة أم المؤمنين، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن المسيب.

2 – كتاب المبسوط لإسماعيل بن إسحاق القاضي.

3 – كتاب النبات لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري.

4 – كتاب الجامع الصغير لمحمد بن الحسن.

5 – كتاب أخبار قرطبة لخالد بن سعد.

6 – كتاب أحكام سـحنون بن سـعيد، جمعها ابنه محمد من أحكام أبيه في ولايته قضاء مدينة القيروان لابن الأغلب.

ومن الملاحظ أنه لم يعتمد على "سنن الترمذي"، ولا"سنن ابن ماجه"؛ لأنه –كما يرى الذهبي– ما رآهما، ولا أُدخلا إلى الأندلس إلا بعد موته.[2]

---

(1) معجم فقه ابن حزم: 52–53. ومقدمة المحلى لخالد الرباط: 154.

(2) سير أعلام النبلاء: 202/18.

وهذا القول فيه نظر، فإنّ جامعَ الترمذي من مروياتِ الحافظ أبي عمر بن عبد البر الأندلسي، قرين ابن حزم ورفيقه،[1] وابن عبد البر يروي الكتاب عن شيخه أبي زكريا يحيى بن محمد الجياني،[2] وابن عبد البر رحمه الله تعالى لم يخرج من بلاد الأندلس، فهذا يرجح أن كتاب الترمذي قد أدخل الأندلس قبل وفاة ابن حزم بأكثر من خمس وستين سنة، لكن لعله لم ينتشر ولم يُعرف إلا بعد حين، والله أعلم.

المطلب الخامس: عناية العلماء بكتاب "المحلّى":

أكاد أن أجزم أنه لا يوجد كتاب من كتب الفقه المقارن قد حظي بما حظي به "المحلى" لابن حزم، من محاولة إكماله، أو اختصاره، أو تحشيته، أو فهرسة أحاديثه ومسائله، وفوائده، أو حتى الرد عليه.

ومن أهم الدراسات التي استهدفت "المحلى":

أولاً: الكتب التي أُلفت تكملةً للمحلَّى:

1 – تكملة أبي رافع ابن المصنّف.

2 – "القدح المعلى في إكمال المحلّى" لابن خليل العبدري.

3 – "المعلّى تتمة المحلى" لمؤلف مجهول.[3]

ثانياً: الكتب التي أُلفت ردّاً على "المحلى":

1 – "القدح المعلّى في الكلام على بعض أحاديث المحلى" لقطب الدين الحلبي.[4]

---

(1) كما في فهرسة ابن خير الإشبيلي: 160، و فهرسة ابن عطية؛ 70.

(2) أرّخ وفاته ابن الفرضي في "تاريخ علماء الأندلس في سنة 390هـ. انظر: تاريخ علماء الأندلس: 2/193-194.

(3) ابن حزم خلال ألف عام: 1/153.

(4) المصدر السابق.

2 – "الرد على المحلى" لعبد الحق بن عبد الله الأنصاري.[1]

3 – "المعلّى في الرد على المحلّى والمُجلّى" لابن زرقون.[2]

4 – "السيف المجلى على المحلى" لمهدي حسن الشاهجهانفوري المتوفى 1396هـ، مطبوع في الهند، وقد طبعته دار الألباب، واعتنى به أبو الحسن مدني، ويوسف محمد خان، وحمدان راشد.

5 – "الرد على المحلى" لأبي الحسن علي بن القطان، وهو فيما يتعلق به من علم الحديث.[3]

ثالثاً: الكتب التي أُلفت اختصاراً للمحلى:

1 – "المعلَّى في مختصر المحلى" لمحيي الدين محمد بن علي المعروف: بابن عربي.[4]

2 – "الأنور الأجلَى في اختصار المحلَّى" لأبي حيان الأندلسي المفسر.[5]

---

(1) نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس التكروري: 279، ولسان الميزان: 199/4. ومعجم المؤلفين 240./10.

(2) العبر في خبر من غبر للذهبي: 184/3، وسير أعلام النبلاء: 311/22. والتكملة لكتاب الصلة: 124/2. وسير أعلام النبلاء: 311/22. والديباج المذهب: 260/2. ومعجم المؤلفين: 219/11.

(3) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: 20/5. وتاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف: 359/10.

(4) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 1617/2.
وقال صاحب كشف الظنون حاجي خليفة: وهو من أحسن المختصرات مع الإحاطة على مذاهب السلف.
وقد أنكر الكتاني في كتابه "معجم فقه ابن حزم" ص 17 وجود كتاب بهذا الاسم لابن عربي، ولم يوافقه أبو عبد الرحمن الظاهري على هذا الإنكار، يُنظر كتاب: ابن حزم خلال ألف عام: 153/1.

(5) أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي: 346/5، ونكث الهميان في نكت العميان: 269، والمقفى الكبير: 272/7. والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: 60/6، وذيل وفيات الأعيان المسمى «درّة الحجال فى أسماء الرّجال» لابن القاضي: 123/2.
وذُكر باسم "النور الأجلى" في: فوات الوفيات: 78/4، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون: 1617/2 باسم "الأنور الأعلى".

3 – "زبدة المجلى باختصار المحلى" لأبي الطيب طاهر بن يحيى العمراني.[1]

4 – "المستحلَى في اختصار المحلّى" لشمس الدين الذهبي.[2]

5 – "المورد الأحلى في اختصار المحلى" لمؤلف مجهول من تلاميذ الذهبي.[3]

6 – مختصر المحلى، لمحمود العنابي. له نسخة في دار الكتب.[4]

7 – "مختصر المحلى في شرح المجلى" لحسان عبد المنان، طبعته بيت الأفكار الدولية في 723 صفحة.

رابعاً: الحواشي التي وضعت على كتاب "المحلى":

حاشيتان على "المحلى" للشيخ محمد بن محمد المعروف بابن رَضي الدين الغزي.[5]

خامساً: أهم الدراسات المعاصرة التي استهدفت "المحلى":

هناك العديد من الدراسات التي تناولت كتاب المحلى فمنها على سبيل المثال:

---

(1) جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي لباذيب: 229/1؛ وعلّق عليه بقوله: انفرد بذكره الأستاذ الحبشي في مصادره (ص198)، وأشار إلى وجود نسخة منه كُتبت سنة 1271هـ، بمكتبة جامعة قاريونس ببنغازي، ليبيا.

وأخطأ من نسبه إلى أبي الخير العمراني والد أبي الطيب المذكور.

(2) فوات الوفيات: 316/3. وأعيان العصر:291/4. والوافي بالوفيات: 115/2، ونكث الهميان: 229. والمقفى الكبير: 125/5. ودرة الحجال: 257/2.

(3) ابن حزم خلال ألف عام: 152. وانظر: مجلة «دعوة الحق» العدد السادس والسابع من سنتها الأولى 1377هـ 1957م (ص26/21 وص 36/35) كما نشرته ببعض اختصار مع مقدمة (المورد الأحلى) مجلة معهد المخطوطات بالجامعة العربية في الجزء الثاني من المجلد الرابع 1958 ص 344/309.

(4) مقدمة خالد الرباط لكتاب المحلى: 157/1.

(5) كشف الظنون: 1617، وهدية العارفين: 254/2.

وقد أنكرهما الكتاني في "معجم فقه ابن حزم" (ص 17) وقال: وما أظنهما إن كانا إلا حاشيتين على المحلى على جمع الجوامع في الأصول، لا على المحلى لابن حزم.

1 – "فهرس الأحاديث والآثار للمحلى" إعداد: حسن محمود أبو هنية، خالد عيسى عبد العال.[1]

2 – "فهارس المحلى" إعداد: أشرف عبد المقصود، فهرسَ الأحاديث التي ذُكرت في "المحلى"، بالإضافة إلى فهرس للجرح والتعديل عن ابن حزم، وما يتبع ذلك من فوائد حديثية تتعلّق بالسماع والإدراك.[2]

3 – "فهارس المحلّى" إعداد: رياض عبد الله عبد الهادي، حيث وضع ستة فهارس متنوعة لكلِّ من الآيات والأحاديث والآثار والكتب والأبواب الفقهية التي جاءت في "المحلى" والجرح والتعديل والكتب الوارد ذكرها في "المحلى"، "المعجم الفقهي".[3]

4 – "المجلّى في تحقيق أحاديث المحلّى" لعلي رضا بن عبد الله.[4]

5 – "المسائل الفقهية التي أنكر فيها ابن حزم الاستدلال بالقياس في أبواب العبادات من كتابه المحلى" دراسة مقارنة لفيصل بن سعيد بالعمش.[5]

6 – "فهارس المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي" إعداد: حسان عبد المنان.[6]

7 – "معجم فقه ابن حزم" لمحمد المنتصر الكتاني، رتب فيه فقه ابن حزم المأخوذ من كتابه المحلى وذلك على حروف المعجم.

وغير ذلك من الدراسات والرسائل الجامعية في جميع أنحاء العالم مما يصعب حصره هنا.

---

(1) طبعة الربوة، الرياض، عام (1412هـ).

(2) طبع بمكتبة السنة، ط1، عام (1414هـ).

(3) طبعة دار إحياء التراث العربي، ط1، عام (1419هـ)، المجلد (14).

(4) طبعة دار المأمون للتراث دمشق، عام (1415هـ).

(5) طبع بمكتبة السنة، ط1، عام (1414هـ)

(6) طبعة بيت الأفكار الدولية، الرياض

تقويم "المحلى" ونقده:

أحبُّ الحق وابن حزم، فإذا اختلفا أحببت الحق وحده، فابن حزم كغيره من الأئمة يخطئ ويُصيب، ويذكر وينسى، وابن حزم -كما قال عنه الحافظ الذهبي- رجل من الكبار؛ فيه أدوات الاجتهاد كاملة، تقع له المسائل المحرَّرة، والمسائل الواهية كما يقع لغيره، وكل واحد يُؤخذ من قوله ويُترَك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففي "المحلّى" ثلاثمائة وألف مسألة ونَيِّف؛ فإذا أخطأ في بضع عشرات منها، أو نسي؛ فهذا لا يشين الكتاب بل يزيّنه، فالإنسان خطَّاء نَسَّاء بالطبع، والعصمة ليست إلا للأنبياء.[1]

وقد تعرّض كتاب "المحلى" لنقد شديد، ونذكر هنا بإيجاز أهم مآخذ أهل العلم عليه:

1 - حدة أسلوب ابن حزم وشدة عبارته على المخالفين، قال الذهبي: "وَلَمْ يَتَأَدَّب مَعَ الأَئِمَّة فِي الخَطَّاب، بَلْ فَجَّج العبَارَة، وَسبَّ وَجَدَّع، فَكَانَ جزَاؤُه مِنْ جِنس فِعله، بِحَيْثُ إِنَّهُ أَعْرَضَ عَنْ تَصَانِيْفه جَمَاعَةٌ مِنَ الأَئِمَّةِ، وَهَجَرُوهَا، وَنفرُوا مِنْهَا، وَأُحرقت فِي وَقت، وَاعْتَنَى بِهَا آخرُوْنَ مِنَ العُلَمَاءِ، وَفَتَّشوهَا انتقَاداً وَاسْتفَادَة، وَأَخذاً وَمُؤَاخذَة، وَرَأَوا فِيْهَا الدُّرَّ الثَّمِينَ ممزوجاً فِي الرَّصْفِ بِالخَرَزِ المَهين، فَتَارَةٌ يَطربُوْنَ، وَمرَّةً يُعجبُوْنَ، وَمِنْ تَفَرُّدِهِ يهزؤُون".[2]

وقال أيضاً: "ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة، تقع له المسائل المحررة والمسائل الواهية كما يقع لغيره، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم. وقد امتحن هذا الرجل وشدد عليه وشرد عن وطنه وجرت له أمور وقام عليه الفقهاء لطول لسانه واستخفافه بالكبار، ووقوعه في أئمة الاجتهاد بأفج عبارة وأفظ محاورة وأبشع رد".[3]

2 - شذوذ آرائه في بعض المسائل، يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "وأمَّا أبو محمد فإنَّه على قدر يُبْسه وقَسْوته في التمسُّك بالظاهر، وإلغائه المعاني والمناسبات

---

(1) معجم فقه ابن حزم: 53.

(2) سير أعلام النبلاء: 18/186-187.

(3) تذكرة الحفاظ: 3/231.

والحِكَم والعِلَل الشَّـرعية، انماعَ في باب العشـق والنظر وسـماع الملاهي المحرَّمة، فوسَّـع هذا الباب جدًّا، وضـيَّق بابَ المناسـبات، والمعاني، والحِكَم الشـرعية جدًّا، وهو من انحرافه في الطَّرفين".[1]

ومن أمثلة ذلك: قوله فيمن سَمَّ طعاماً لإنسان، ثم دعاه إلى أكله، فأكَلَهُ، فمـات أنه لا قَوَدَ فيه ولا دِيَةَ ولا كفارة، وإنما عليه ضَـمانُ الطعام الذي أفسـدَ –إن كان لغيره– والأدب.[2]

ومنها: أنه لا قَود ولا دِيَة على من حفر حُفرة وغطَّاها وحمل مَن يمرّ عليها فمرّ فمات.

ومنها: حكمه في قبول شهادة اختلفت بعض مشاهدها.

3 – قد ينسـى ما مضـى له من مذهبه فيتناقض ويكتب غيره. ويسـتدرك المسـألأة فيذكرها وهو ناسٍ أنه قد ذكرها قبل، فيعود إلى ذكرها. ويرجع عن الحكم في آخر المسـألة بعد أن يكون قد قرر في أولها خلافه. ويتمحَّل الاحتجاج لرأي؛ ويتكلف البراهين لتدعيمه. ويتقعَّر في الاسـتنباط ويتعسَّـف ويبعد النجعة. ويجمد على الظاهر ويلغي المعاني البَيِّنة والعِلَل الواضحة. ويقع في القياس –ومذهبه قائم على أن القياس بدعة لا تجوز– وهو لا يشعر. ويحكي عن المذهب الشيء وضدّه في مسألأة واحدة، وفي مسائل متباعدة.[3]

4 – أوهامه في الحكم على الرجال، وتجهيله لكل من لم يعرفه.[4]

5 – انتقده البعض لعدم التزامه مذهباً من المذاهب الأربعة المشهورة.[5]

---

(1) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم: 202–203.

(2) المحلى: 45/20 (2133).

(3) معجم فقه ابن حزم: 53–54.

(4) مقدمة المحلى لخالد الرباط: 160. وقد ذكرنا أن ابن حجر رد على أوهام ابن حزم في الرجال في لسان الميزان: 488/5.

(5) المصدر السابق.

ومن القصص الطريفة التي تدل على مدى هجران الناس لهذا الكتاب تعصباً للمذاهب أن شيخ الشام جمال الدين القاسمي شد الرحال إلى البلاد الحجازية في غير موسم الحج للاطلاع على كتاب "المحلى" لابن حزم لعدم وجوده في دمشق. فدخل المكتبة العمومية في المدينة المنورة بعدما زار الحرم النبوي – على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم– وسلم على الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، وطلب من القيم الكتاب المذكور، فأجابه: إن هذا الكتاب ممنوع الإطلاع عليه، لأنه لا يتقيد بمذهب، ويأخذ بمن هو أقوى دليلاً من الأئمة.

فاحتال القاسمي على القيِّم وقال له: إنّني أريد أن أناقشه وأردَّ عليه إذا اقتضى الأمر.

فسُرَّ القيِّم وقال له: على هذه النية أعطيك الكتاب.[1]

والحمد لله رب العالمين

(1) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: 22؛ تأليف محمد مهدي الاستانبولي.

فهرس المصادر والمراجع

م	
	القرآن الكريم.

أولاً: كتب الحديث	
1	**صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**؛ المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي؛ المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر؛ الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)؛ الطبعة: الأولى، 1422هـ؛ مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه.
2	**صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**؛ المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)؛ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ثانياً: كتب الأصول والقواعد الفقهية	
3	**الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس**؛ المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ)؛ دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن زين العابدين رستم؛ أصل التحقيق: رسالة الدكتوراة – جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال شعبة الدراسات الإسلامية؛ تقديم: الدكتور زين العابدين بن محمد بلافريج؛ الناشر: دار أضواء السلف، الرياض – المملكة العربية السعودية؛ الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م
4	**إعلام الموقعين عن رب العالمين**؛ المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)؛ قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو

	عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان؛ شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد؛ الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية؛ الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
5	**النبذة الكافية في أحكام أصول الدين**؛ المؤلف: ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ)؛ المحقق: محمد أحمد عبد العزيز؛ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت؛ الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥ م.

6	**ديوان ابن حزم الظاهري**؛ جمع وتحقيق ودراسة: أحمد رشاد عبد الكريم؛ الناشر: دار الصحابة؛ مدينة النشر: طنطا؛ رقم الطبعة: الأولى؛ سنة النشر: 1410هـ - 1990م.
7	**طوق الحمامة لابن حزم**؛ المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)؛ تحقيق: د. إحسان عباس؛ دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت / لبنان؛ الطبعة: الثانية - ١٩٨٧م.

ثالثاً: كتب التاريخ والتراجم.	
8	**ابن حزم حياته وعصره -آراؤه وفقهه**؛ تأليف: محمد أبو زهرة؛ الناشر: دار الفكر العربي؛ مدينة النشر: القاهرة-مصر، رقم الطبعة: الأولى؛ سنة النشر: 1997م.
9	**ابن حزم خلال ألف عام**؛ تأليف: أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي-بيروت (لبنان)؛ رقم الطبعة: الأولى؛ سنة النشر: 1402هـ - 1983م.
10	**ابن حزم، صورة أندلسية**؛ تأليف: طه الحاجري؛ الناشر: دار الفكر العربي؛ مصر؛ الطبعة الأولى. د.ت.ن.
11	**الإحاطة في أخبار غرناطة**؛ المؤلف: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)؛ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت؛ الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

12	**الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى** «وهو مشتمل على ثلاثة كتب في الكنى»: 32/1؛ المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨ – ٤٦٣ هـ)؛ دراسة وتحقيق وتخريج: عبد الله مرحول السوالمة؛ أصل التحقيق: رسالة دكتوراه في الشريعة الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.؛ الناشر: دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، الرياض – المملكة العربية السعودية؛ الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م
13	**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**؛ المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)؛ المحقق: علي محمد البجاوي؛ الناشر: دار الجيل، بيروت؛ الطبعة: الأولى، 1412 هـ – 1992 م.
14	**أسد الغابة في معرفة الصحابة**؛ المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)؛ المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود؛ الناشر: دار الكتب العلمية؛ الطبعة: الأولى؛ سنة النشر: 1415هـ – 1994م.
15	**الإصابة في تمييز الصحابة**؛ المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)؛ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض؛ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت؛ الطبعة: الأولى – 1415 هـ.
16	**الأعلام**؛ المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)؛ الناشر: دار العلم للملايين؛ الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.
17	**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ**؛ المؤلف: الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)؛ المحقق: سالم بن غتر بن سالم الظفيري؛ الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية؛ الطبعة: الأولى، ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م.
18	**أعيان العصر وأعوان النصر**؛ المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: 764هـ)؛ المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد،

	الدكتور محمود سالم محمد؛ قدم له: مازن عبد القادر المبارك؛ الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا؛ الطبعة: الأولى، 1418 هـ – 1998 م.
19	**الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**؛ المؤلف: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت ٤٧٥هـ)؛ الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان؛ الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١١هـ–١٩٩٠م.
20	**أندلسيات (المجموعة الأولى والثانية)**؛ المؤلف: عبد الرحمن علي الحجي؛ الناشر: دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع؛ مدينة النشر: القاهرة–مصر؛ رقم الطبعة: الثانية؛ سنة النشر: 1389هـ - 1969م.
21	**إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**؛ المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)؛ عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان؛ د.ت.ن.
22	**البداية والنهاية**؛ المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)؛ تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان؛ الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م؛ سنة النشر: 1424هـ / 2003م.
23	**بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**؛ المؤلف: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: 599هـ)؛ الناشر: دار الكاتب العربي – القاهرة؛ الطبعة: الأولى؛ عام النشر: 1967 م.
24	**البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**؛ المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)؛ الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع؛ الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

25	**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**؛ المؤلف: ابن عذاري المراكشـــي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو ٦٩٥هـــ)؛ تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال؛ الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان؛ الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣ م.
26	**تاريخ ابن خلدون، المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشـــأن الأكبر**؛ المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـــ)؛ المحقق: خليل شحادة؛ الناشر: دار الفكر، بيروت؛ الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
27	**تاريخ الأدب الأندلســـي (عصـــر ســـيادة قرطبة)**؛ المؤلف: دكتور إحســـان عباس (ت ١٤٢٤هـ)؛ الناشر: دار الثقافة – بيروت؛ الطبعة: الأولى، 1960.
28	**تاريخ الأدب العربي**؛ المؤلف: الدكتور شـوقي ضـيف؛ الناشـر: دار المعارف – مصـر؛ الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م.
29	**تاريخ أســبانيا الإســلامية، أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإســلام**؛ المؤلف: ذو الوزارتين لســان الدين ابن الخطيب السـلماني؛ تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال؛ الناشر: دار المكشوف؛ مدينة النشر: بيروت–لبنان؛ رقم الطبعة: الثانية؛ سنة النشر: 1956م.
30	**تاريخ الإســلام وَوَفيات المشــاهير وَالأعلام**؛ المؤلف: شـمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـــــ)؛ المحقق: الدكتور بشـــار عوّاد معروف؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي؛ الطبعة: الأولى، 2003 م.
31	**تاريخ دمشــق**؛ المؤلف: أبو القاســم علي بن الحســن بن هبة الله المعروف بابن عســاكر (المتوفى: 571هـــــ)؛ المحقق: عمرو بن غرامة العمروي؛ الناشـــر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع؛ عام النشر: 1415 هـ - 1995 م.
32	**تاريخ الفكر الأندلسي**؛ تأليف: آنجل جنثالث بالنثيا؛ ترجمة حسين مؤنس؛ الناشر: مكتبة الثقافة الدينية؛ المدينة: القاهرة؛ سنة النشر: 1955م؟
33	**تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**؛ المؤلف: عمر فرُّوخ؛ الناشر: دار العلم للملايين؛ مدينة النشر: بيروت–لبنان؛ رقم الطبعة: الرابعة؛ سنة النشر: 1983م.

34	**تذكرة الحفاظ**؛ المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)؛ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان؛ الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
35	**ترتيب المدارك وتقريب المسالك**؛ المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ)؛ المحقق: جزء 1: ابن تاويت الطنجي، 1965 م، وجزء 2، 3، 4: عبد القادر الصحراوي، 1966 - 1970 م، وجزء 5: محمد بن شريفة، وجزء 6، 7، 8: سعيد أحمد أعراب 1981-1983م؛ الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب؛ الطبعة: الأولى.
36	**التكملة لكتاب الصلة**؛ المؤلف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ت ٦٥٨هـ)؛ المحقق: عبد السلام الهراس؛ الناشر: دار الفكر للطباعة - لبنان؛ سنة النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
37	**الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة**؛ المؤلف: أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا السُّوْدُوْنِي (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (ت ٨٧٩هـ)؛ دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان؛ الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن؛ الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
38	**جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**؛ المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت ٤٨٨ هـ)؛ الناشر: الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة؛ عام النشر: ١٩٦٦ م
39	**جمهرة أنساب العرب**؛ المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)؛ تحقيق: لجنة من العلماء؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ الطبعة: الأولى، ١٤٠٣/١٩٨٣م.
40	**جمهرة تراجم الفقهاء المالكية**؛ المؤلف: د. قاسم علي سعد؛ الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي؛ الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

41	**جهود فقهاء حضـرموت في خدمة المذهب الشـافعي**؛ تأليف: الدكتور محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب؛ دار الفتح للدراسـات والنشـر؛ الأردن؛ الطبعة الأولى: 1430هـ – 2009م.
42	**دراسات عَنْ ابن حزم وكتابه "طوق الحمامة"**؛ المؤلف: الطاهر أحمد مكي؛ الناشر: مكتبة وهبة؛ مدينة النشر: القاهرة–مصر؛ رقم الطبعة: الثانية؛ سنة النشر: 1397هـ –1977م.
43	**دراسـة تاريخية للفقه وأصـوله والاتجاهات التي ظهرت فيهما**؛ المؤلف: مصـطفى سـعيد الخن؛ الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع؛ مدينة النشر: دمشق–سوريا؛ الطبعة الأولى؛ سنة النشر: 1404هـ–1984م.
44	**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**؛ المؤلف: أبو الفضـل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)؛ المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان؛ الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند؛ الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م.
45	**دولة الإسلام في الأندلس**؛ المؤلف: محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري (ت ١٤٠٦هـ)؛ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة؛ الطبعة: جـ ١، ٢، ٥/ الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، جـ٣، ٤/ الثانية، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م.
46	**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**؛ المؤلف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ)؛ تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور؛ الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
47	**الذخيرة في محاسـن أهل الجزيرة**؛ المؤلف: أبو الحسـن علي بن بسـام الشـنتريني (ت ٥٤٢هـ)؛ المحقق: إحسان عباس؛ الناشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس؛ الطبعة: الأولى؛ سنة النشر: 1981م.
48	**ذيل وفيات الأعيان المسمى «درّة الحجال في أسماء الرّجال»**؛ المؤلف: أبو العبّاس أحمد بن محمّد المكناسى الشّهير بابن القاضى (٩٦٠ – ١٠٢٥ هـ)؛ المحقق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور؛ الناشـر: دار التراث (القاهرة) – المكتبة العتيقة (تونس)؛ الطبعة: الأولى، ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م.

49	**الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**؛ المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣ هـ)؛ حققة وعلق عليه: الدكتور إحسان عباس، الدكتور محمد بن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي، تونس؛ الطبعة: الأولى، ٢٠١٢ م.
50	**سلم الوصول إلى طبقات الفحول**؛ المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى 1067 هـ)؛ المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط؛ إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي؛ تدقيق: صالح سعداوي صالح؛ إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور؛ الناشر: مكتبة إرسيكا؛ ستانبول – تركيا؛ عام النشر: 2010 م.
51	**سير أعلام النبلاء**؛ المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ)؛ المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط؛ الناشر : مؤسسة الرسالة؛ الطبعة : الثالثة ، 1405 هـ / 1985 م.
52	**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**؛ المؤلف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: 1360هـ)؛ علق عليه: عبد المجيد خيالي؛ الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان؛ الطبعة: الأولى، 1424 هـ – 2003 م.
53	**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**؛ المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ)؛ حققه: محمود الأرناؤوط؛ خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط؛ الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت؛ الطبعة: الأولى، 1406 هـ – 1986 م.
54	**صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار**؛ المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت ٩٠٠هـ)؛ عنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها: إ. لافي بروفنصال أستاذ تاريخ المغرب العربي بجامعة الجزائر، ومعهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس، ومدير فخري لمعهد الأبحاث المغربية العليا بالرباط؛ الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان؛ الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

55	**الصـــلة في تاريخ أئمة الأندلس**؛ المؤلف: أبو القاســم خلف بن عبد الملك بن بشــكوال (المتوفى: 578 هـــ)؛ عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني؛ الناشر: مكتبة الخانجي؛ الطبعة: الثانية، 1374 هـ - 1955 م.
56	**طبقات الحفاظ**؛ المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين الســيوطي (المتوفى: 911هـ)؛ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت؛ الطبعة: الأولى، 1403هـ.
57	**طبقات الشافعية**؛ المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: 851هـ)؛ المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان؛ دار النشر: عالم الكتب – بيروت؛ الطبعة: الأولى، 1407 هـ.
58	**طبقات الشـافعية الكبرى**؛ المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـــ)؛ المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو؛ الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع؛ الطبعة: الثانية، 1413هـ.
59	**طبقات الشـافعيين**؛ المؤلف: أبو الفداء إسـماعيل بن عمر بن كثير القرشـي البصـري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـــ)؛ تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب؛ الناشر: مكتبة الثقافة الدينية؛ تاريخ النشر: 1413 هـ - 1993 م.
60	**طبقات علماء الحديث**؛ المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشــقي الصـالحي (المتوفى: 744 هـــ)؛ تحقيق: أكرم البوشـي، إبراهيم الزيبق؛ الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان؛ الطبعة: الثانية، 1417 هـ - 1996 م.
61	**طبقات المفسـرين**؛ المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شـمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥هـــ)؛ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت؛ راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر؛ الطبعة: الأولى؛ د. ت. ن.
62	**العبر في خبر من غبر**؛ المؤلف: شــمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـــ)؛ المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول؛ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
63	**فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**؛ المؤلف: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى:

	1382هـ)؛ المحقق: إحسان عباس؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ص. ب: 5787/113؛ الطبعة: 2، 1982.
64	**فوات الوفيات**؛ المؤلف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: 764هـ)؛ المحقق: إحسان عباس؛ الناشر: دار صادر – بيروت؛ الطبعة: الأولى الجزء: 1 – 1973م، والجزء: 2، 3، 4– 1974م.
65	**قصة الحضارة**؛ المؤلف: وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (ت ١٩٨١ م)؛ تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر؛ ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين؛ الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس؛ عام النشر: ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
66	**قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**؛ المؤلف: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (870 – 947 هـ)؛ عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري؛ الناشر: دار المنهاج – جدة؛ الطبعة: الأولى، 1428 هـ – 2008 م.
67	**الكامل في التاريخ**؛ المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)؛ تحقيق: عمر عبد السلام تدمري؛ الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان؛ الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
68	**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**؛ المؤلف: مصطفى بن عبد الله، الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي؛ تاريخ النشر: ١٩٤١ م؛ عدد الأجزاء: ٢؛ تصوير: مؤسسة التاريخ العربي – دار إحياء التراث العربي بيروت [وألحقوا بالمطبوع تصويرا: إيضاح المكنون جـ ٣ – ٤ وهداية العارفين جـ ٥ – ٦].
69	**لسان الميزان**؛ المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)؛ المحقق: عبد الفتاح أبو غدة؛ الناشر: دار البشائر الإسلامية؛ الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.

70	**مجمع الآداب في معجم الألقاب**؛ المؤلف: كمال الدين أبو الفضـــل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣ هـــ)؛ المحقق: محمد الكاظم؛ الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر– وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران؛ الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.
71	**مرآة الجنـان وعبرة اليقظـان في معرفـة مـا يعتبر من حوادث الزمـان**؛ المؤلف: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٦٨هـــ)؛ وضع حواشيه: خليل المنصـور؛ الناشـر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان؛ الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.
72	**مطمح الأنفس ومسـرح التأنس في ملح أهل الأندلس**؛ المؤلف: الوزير الكاتب أبو نصـر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت ٥٢٩ هـ – ١١٣٥ م)؛ دراسـة وتحقيق: محمد علي شـوابكة؛ الناشـر: دار عمار – مؤسسـة الرسـالة؛ الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.
73	**المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصـــر الموحدين**؛ المؤلف: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشـي، محيي الدين (ت ٦٤٧هـــ)؛ المحقق: الدكتور صـلاح الدين الهواري؛ الناشر: المكتبة العصرية، صيدا–بيروت؛ الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م.
74	**معجم الأدباء = إرشـــاد الأريب إلى معرفة الأديب**؛ المؤلف: شـــهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـــ)؛ المحقق: إحسان عباس؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
75	**معجم المؤلفين**؛ المؤلف: عمر رضـا كحالة؛ الناشـر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي – بيروت؛ الطبعة الأولى.
76	**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**؛ المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـــ)؛ الناشـر: دار الكتب العلمية؛ الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ– ١٩٩٧م

77	**المغرب في حلى المغرب**؛ المؤلف: أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (المتوفى: 685هـ)؛ المحقق: د. شوقي ضيف؛ الناشر: دار المعارف – القاهرة؛ الطبعة: الثالثة، 1955م.
78	**المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**؛ المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (ت ٨٨٤هـ)؛ المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين؛ الناشر: مكتبة الرشد – الرياض – السعودية؛ الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
79	**المقفى الكبير**؛ المؤلف: تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥ هـ = ١٤٤٠ م)؛ المحقق: محمد اليعلاوي؛ الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان؛ الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.
80	**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**؛ المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: 874هـ)؛ الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
81	**نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**؛ المؤلف: سالم بن عبد الله الخلف؛ الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية؛ الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
82	**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**؛ المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)؛ المحقق: إحسان عباس؛ الناشر: دار صادر– بيروت – لبنان ص. ب ١٠؛ الطبعة: الأولى؛ سنة النشر: 1997.
83	**نكث الهميان في نكت العميان**؛ المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)؛ علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا؛ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان؛ الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.
84	**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**؛ المؤلف: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (ت ١٠٣٦ هـ)؛ عناية وتقديم: الدكتور

	عبد الحميد عبد الله الهرامة؛ الناشر: دار الكاتب، طرابلس – ليبيا؛ الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠ م.
85	**هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**؛ المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)؛ الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م؛ أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.
86	**الوافي بالوفيات**؛ المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ)؛ المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى؛ الناشر: دار إحياء التراث – بيروت؛ عام النشر:1420هـ- 2000م.
87	**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**؛ المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)؛ المحقق: إحسان عباس؛ الناشر: دار صادر – بيروت؛ الطبعة: الجزء: 1 - الطبعة: 1، 1900، والجزء: 2 - الطبعة: 1، 1900، والجزء: 3 - الطبعة: 1، 1900، والجزء: 4 - الطبعة: 1، 1971، والجزء: 5 - الطبعة: 1، 1994، والجزء: 6 - الطبعة: 1، 1900، والجزء: 7 - الطبعة: 1، 1994م.

رابعاً: الأخلاق والتزكية والعقيدة	
88	**الأخلاق والسير في مداواة النفوس**؛ المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)؛ المحقق: بلا؛ الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت؛ الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
89	**رسائل ابن حزم الأندلسي**؛ المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)؛ المحقق: إحسان عباس؛ الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ عنوان الناشر: بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير- بيروت - لبنان -

	ت ١/٨٠٧٩٠٠. برقياً – موكيالي – بيروت – ص.ب: ٥٤٦/١١ بيروت؛ الطبعة: الأولى: سنة النشر: 1983م.
90	**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**؛ [آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال (٢٣)]؛ المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١)؛ حققه: محمد عزير شمس؛ راجعه: سليمان بن عبد الله العمير – محمد أجمل الإصلاحي؛ الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)؛ الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم).
91	**ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد**؛ المؤلف: الدكتور أحمد بن ناصر الحمد؛ الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية؛ الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.

خامساً: المجلات	
92	مجلة (الثقافة العربية) العدد الأول الرباط.
93	مجلة «دعوة الحق» العدد السادس والسابع من سنتها الأولى 1377هـ 1957م
94	مجلة العربي عدد 109 ديسمبر 1967م
95	مجلة العربي عدد95.
96	مجلة المنار
97	مجلة المناهل، العدد السابع، الصادر في 1 نوفمبر 1976م، من صفحة 241 – 261.
98	مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد 4 الجزء الأول 1958
99	مجلة معهد المخطوطات بالجامعة العربية الجزء الثاني من المجلد الرابع 1958م

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
1	**المقدمة**	3
2	**الفصل الأول: ترجمة الإمام ابن حزم، وفيه تسعة مباحث:**	**5**
3	المبحث الأول: حياته.	6
4	المبحث الثاني: شيوخ الإمام ابن حزم.	35
5	المبحث الثالث: أشهر تلامذته.	50
6	المبحث الرابع: المناصب التي تولاها.	53
7	المبحث الخامس: النكبات والمحن التي واجهته.	55
8	المبحث السادس: رحلاته.	61
9	المبحث السابع: مكانته العلمية، وأقوال العلماء فيه.	67
10	المبحث الثامن: مصنفاته وآثاره.	74
11	المبحث التاسع: وفاته.	93
12	**الفصل الثاني: عصر الإمام ابن حزم، وفيه أربعة مباحث:**	94
13	المبحث الأول: الحالة السياسية.	95
14	المبحث الثاني: الحالة الاقتصادية.	104
15	المبحث الثالث: الحالة الاجتماعية.	108

م	الموضوع	الصفحة
16	المبحث الرابع: الحالة العلمية.	114
17	**الفصل الثالث: دراسة موجزة عن كتاب المحلّى، وفيه ثلاثة مباحث:**	119
18	المبحث الأول: التعريف بكتاب "المحلى".	120
19	المبحث الثاني: أهمية كتاب المحلى وقيمته العلمية.	122
20	المبحث الثالث: منهج ابن حزم في المحلى.	124
21	فهرس المصادر والمراجع.	145
22	فهرس الموضوعات.	159